التَّنْمِيَةُ الشَّامِلَةُ وسَبِيلُ تَحْقِيقِهَا فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ "دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ"

د/ محمّد رجب محمّد محمود عبد الجوّاد

مدرّس التّفسير وعلوم القرآن بكلّيّة أصول الدّين والدّعوة بالزّقازيق- جامعة الأزهر - مصر

من ١١٣ إلى ٢١٠

Comprehensive development and the way to achieve it in the Holy Quran "objective study"

Dr/ Mohamed Ragab Mohamed Mahmoud Abdel Gawad
Instructor of interpretation and Quranic sciences at the Faculty of Fundamentals of Religion and Advocacy in Zagazig
Al-Azhar University - Egypt

التّنمية الشّاملة وسَبِيل تحقيقها في القرآن الكريم "دراسة موضوعيّة"

محمّد رجب محمّد محمود عبد الجوّاد
قسم التّفسير وعلوم القرآن بكلّيّة أصول الدّين والدّعوة بالزّقازيق – جامعة الأزهر – مصر
البريد الإلكتروني: mohamedragab.89@azhar.edu.eg

ملخّص البحث:

أصبح مفهوم التّنمية الشّاملة من السِّمات الأساسيّة للعصر الحاضر حيث يتمّ استخدامه فى كلّ المجالات، وأصبح العالم كلّه يعتنق مفهوم التّنمية الشّاملة، وكان القرآن هو الرّائد الأوّل فى وضع الأُسُس المتكاملة والمبادىء العظيمة التي يقوم عليها المجتمع المسلم، والتي تمتاز بالشّمول والواقعيّة، وتضمن سير الحياة في المجتمع على وجه يُحقِّق العدل والأمن والحياة الكريمة لكافّة أفراده، من خلال إتاحة الفرصة للجميع بالمشاركة في التّنمية الحضاريّة، مِمَّا يؤدي إلى تطوّر المجتمع وتقدّمه في كلّ المجالات، اجتماعيًّا ، واقتصاديًّا، وزراعيًّا، وصناعيًّا، وغير ذلك من المجالات؛ ليَنعَم المسلم بالتقدّم والازدهار، ويَسعد في الدّارين، ويُوَاكِب التّطوّر المذهل في أنحاء دول العالم المتقدّم خاصّة النّمور الاقتصاديّة وبالأخصّ التي تُجِلُّ العلم وتجعله عماد نهضتها.

ويهدف هذا البحث إلى تأصيل مفهوم التّنمية الشّاملة فى القرآن الكريم؛ وذلك لإثبات نظرة القرآن المتكاملة والمتوازنة للكون والحياة والإنسان، واستيعابه لحياة الأفراد والمجتمعات بجميع جوانبها العلميّة والعمليّة؛ فدعاهم إلى التّمسّك بالدّين، والعمل الجاد المُستَزَاد، والتّنمية في شتّى المجالات، وبين لهم السَّبِيل لتحقيقها، وبهذا سبق القرآن الكريم المفهوم الغربى للتّنمية الشّاملة الذى أصبح من أهم النظريّات الإداريّة فى القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: التّنمية؛ الشّاملة؛ سَبِيل تحقيقها؛ القرآن الكريم.

Comprehensive Development And The Way To Achieve It In The Holy Qura "Objective Study"

Mohamed Ragab Mohamed Mahmoud Abdel Gawad
Department Of Interpretation And Quran Sciences, Faculty Of Fundamentals Of Religion And Propagation In Zagazig - Al-Azhar University - Egypt
Email: mohamedragab.89@azhar.edu.eg

Abstract:

The concept of comprehensive development has become one of the basic features of the present era, as it has followed its use in all fields, and the whole world has embraced the concept of comprehensive development, and the Qur'an was the first pioneer in laying the integrated foundations and great principles upon which the Muslim community is based, which is characterized by comprehensiveness and realism, and ensures the course of life in Society in a way that achieves justice, security and a decent life for all its members, By providing the opportunity for everyone to participate in civilized development, which leads to the development and progress of society in all fields, socially, economically, agriculturally, industrially, and other fields; May the Muslim enjoy progress and prosperity, be happy in both worlds, and keep pace with the amazing development throughout the developed world, especially the economic tigers, especially those that revere science and make it the mainstay of their renaissance.

This research aims to consolidate the concept of comprehensive development in the Holy Qur'an; This is to prove the Qur'an's integrated and balanced view of the universe, life and man, and its understanding of the lives of individuals and societies in all its scientific and practical aspects; He called them to adhere to the religion, to work hard and to develop in various fields, and showed them the way to achieve them. Thus, the Noble Qur'an preceded the Western concept of comprehensive development, which became one of the most important management theories in the twentieth century.

Keywords: Development; Inclusive; Way To Achieve It; The Holy Quran.

مقدّمة:

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عباده الذين اصطفى، ثمّ أمّا بعد،،،

فلمّا كانت التّنمية الشّاملة هدفًا يسعى العالم بأسره لتحقيقه، ولمّا كان القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي لم يترك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، جاءت فكرة هذا البحث الذي يتناول إثبات معرفة القرآن لفكرة التّنمية الشّاملة، من خلال استقراء وتحليل بعض آياته.

- **الدراسات السّابقة:**

من خلال بحثي عمّن كتب في هذا الموضوع وجدت أنَّ من بَحَث في هذا الموضوع قليل جدًّا؛ فلم أجد – فيما علمت – إلا دراسة واحدة بعنوان: "مدخل إلى التّنمية المتكاملة، رؤية إسلاميّة للأستاذ الدكتور/ عبد الكريم بكّار، طبعة: دار القلم، دمشق، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م"، وقد تحدّث فيها عن التّنمية المتكاملة، وأهمّيتها، وبعض مجالاتها من منظور إسلامي بسيط، وبأسلوب أدبي بعض الشّيء.

لكنّ بحثي قد عالج هذا الموضوع من منظور علمي قرآني مبني على الآيات وتفاسيرها التي استُدِلّ بها على معرفة كتاب الإسلام لمفهوم التّنمية الشّاملة، بعرض أقوال أئمّة المفسّرين، وما قالوا به في تفسير الآيات المُستَدَلّ بها، وكلّ ذلك موثّقٌ توثيقًا علميًّا.

- **أهميّة الموضوع وأسباب اختياره:**

١- تَعَلُّق موضوع البحث بالقرآن الكريم وتفسيره.

٢- سَبْق القرآن الكريم المفهوم الغربى للتّنمية الشّاملة.

٣- أنّ التنمية الشّاملة ركيزة أساسيّة للاستقرار، والتطوّر الإنساني، والاجتماعي، والسّعادة في الدّارين.

٤- الدّفاع عن القرآن الكريم وبيان صلاحيّته لكلّ زمان ومكان.

٥- بيان إعجاز القرآن وكونه النّموذج الأمثل للتّنمية الشّاملة.
٦- إثبات الصّلة بين العلم الحديث والقرآن الكريم.
٧- تنوّع مجالات التّنمية في القرآن الكريم.
٨- بيان القرآن الكريم السَّبِيل لتحقيق التّنمية الشّاملة.
٩- أنّ هذا الموضوع يحظى بأهميّة كبيرة في الدّراسات القرآنيّة والإداريّة على حدّ سواء.
١٠- أنّ هذا البحث يتفق مع رؤية مصر ٢٠٣٠م في التّنمية الشّاملة.

○ **أهداف البحث:**

١- استقراء آيات القرآن الكريم المرتبطة بعناصر التّنمية الشّاملة ودراستها دراسة موضوعيّة في بحث واحد كجانب من جوانب التّفسير الموضوعي.
٢- إثبات معرفة القرآن لفكرة التّنمية الشّاملة، ومجالاتها، والسّبيل لتحقيقها.
٣- محاولة إثراء المكتبة التفسيريّة بمثل هذا الموضوع العصري.
٤- خدمة كتاب الله – تعالى – طمعًا لمغفرته ورغبة في الأجر والثّواب.

○ **خطّة البحث:**

يتكوّن البحث من مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ذكرت في المقدّمة الدّراسات السّابقة، وأهميّة الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وخطّته، ومنهجه، وفي التّمهيد تحدّثت عن مشكلة نقص العمل، والبعد عن الدّين، ومن ثمّ الحاجة إلى التّنمية الشّاملة، أمّا المبحث الأوّل: فخصصته لبيان مفهوم التّنمية الشّاملة، وفيه مطلبان، المطلب الأوّل: مفهوم التّنمية الشّاملة، والمطلب الثّاني: المفاهيم المتعلّقة بالتّنمية الشّاملة.

وأمّا المبحث الثّاني: فخُصِّص للتّنمية الشّاملة في القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب، المطلب الأوّل: التّنمية الإيمانيّة، وفيه ثلاثة مقاصد: ١- وقفة موجزة مع الإيمان وبعض ثمراته. ٢- التّنمية الإيمانيّة. ٣- أثر التّنمية الإيمانيّة في حياة المسلم وسلوكه.

المطلب الثّاني: التّنمية العلميّة، وفيه خمسة مقاصد: ١- كتابنا كتاب اقرأ. ٢- فضل العلم والعلماء والتّحذير من الجهل. ٣- أدوات العلم. ٤- حكم طلب العلم. ٥- التّنمية العلميّة.

المطلب الثّالث: التّنمية الاجتماعيّة، وفيه سبعة مقاصد: ١- تمحيص المجتمع. ٢- صلاح المجتمع مقرون باستقامة عقيدته. ٣- بناء الأسرة. ٤- الأخوّة الإنسانيّة. ٥- تقويم المجتمع. ٦- الحفاظ على المجتمع. ٧- التكافل الاجتماعي.

المطلب الرّابع: التّنمية الاقتصاديّة، وفيه أربعة مقاصد: ١- الاقتصاد والقرآن. ٢- مقوّمات الاقتصاد في القرآن. ٣- معوقات التّنمية الاقتصاديّة. ٤- منفعة المال للأفراد والمجتمع.

المطلب الخامس: التّنمية البشريّة، وفيه أربعة مقاصد: ١- الإنسان ميدان التّنمية البشريّة. ٢- التكريم الخَلْقِي للإنسان. ٣- حَمْلُه الولاية الإلهيّة وتزكية نفسه. ٤- إعماره الأرض والحفاظ عليها للأجيال اللاحقة.

وأمّا المبحث الثّالث فعنونته بـ: العمل هو سَبِيل تحقيق التّنمية الشّاملة، ويشتمل على ستة مطالب: المطلب الأوّل: العمل عبادة. المطلب الثّاني: بالعمل تَعْمُر الأرض ويُكْسَب الرّزق. المطلب الثّالث: العمل سَبِيلٌ للأنبياء والمرسلين. المطلب الرّابع: العمل مطلوب بغضّ النّظر عن نوعه. المطلب الخامس: حقوق العمّال. المطلب السّادس: العمل وسيلة للتّطوّر الإنساني في شتّى المجالات.

ثم ذيّلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهمّ ما توصّلت إليه من نتائج، وتوصيّات.

- **منهج البحث:**

يقوم البحث على المنهج الاستقرائي الاستنباطي التّحليلي، وقد عنيت فيه ببيان مفهوم التّنمية الشّاملة وبعض المفاهيم الأخرى، وقارنت بين مفهوم التّنمية الشّاملة الحديث، والمفهوم الإسلامي الذي تمّ استنباطه من خلال استقراء آيات القرآن الكريم المرتبطة بعناصر التّنمية الشّاملة، وقمت بتأصيل المفاهيم الواردة في البحث تأصيلًا علميًا استنادًا إلى ما ورد في المعاجم اللغويّة، كما قمت بتحليل واستقراء الآيات القرآنية الداعمة لفكرة البحث، بالاستعانة بأمّهات التفاسير، وبعض التفاسير الحديثة، وأمّا ما يتعلّق بالمفاهيم الإداريّة فاستعنت فيها بأحدث المراجع وبخاصّة المراجع الأجنبيّة الحديثة وفق ما هو معروف عند علماء علم الإدارة.

والله أسأل أن تكون هذه الدراسة إضافة نافعة للدّراسات القرآنية، وأن ينتفع بها الباحثون.

الباحث عفا الله عنه:

د/ محمّد رجب محمّد محمود عبد الجوّاد

تمهيد:

خلق الله الكون وأبدعه وجعله في دقّة متناهية وصنع حكيم؛ فقال في القرآن الكريم: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[١]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[٢]، والإنسان خليفة الله في أرضه، منوط به عمارتها، والسعي في مناكبها، والعمل بكِدٍّ دون كَلَل أو ملل حتى يتحقّق وعد الله له بالاستخلاف في الأرض إن عمل صالحًا.

وبعد هذا كلّه أعرض الإنسان عن كتاب ربّه؛ فقَعَد عن العمل، ورضِيَ لنفسه الذلّة، والتخلّف، ذالكم العمل الذي هو سبيلٌ للأنبياء والمرسلين – عليهم السلام –؛ فكلهم كانوا عاملين، وهو سبب للحياة الطيّبة في الدّنيا، والعيشة السّعيدة في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٣].

ولمّا كان القرآن الكريم هو كلام الله المعجز الذي لم يترك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، راعى هذا الإنسان وبعده عن مقتضى دينه وكتاب ربّه، وقلته في العمل؛ فجاءت فكرة هذا البحث الذي يتناول إثبات معرفة القرآن لفكرة التّنمية الشّاملة بكلّ أنواعها التي لن تتحقّق ولن تُوتِيَ ثمارها إلّا بالعمل الجاد المُستزاد.

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ١١٧ .

(٢) سورة الدخان، آية رقم: ٣٨ .

(٣) سورة النحل، آية رقم: ٩٧ .

المبحث الأوّل: مفهوم التّنمية الشّاملة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: مفهوم التّنمية الشّاملة.

المطلب الثّاني: المفاهيم المتعلّقة بالتّنمية الشّاملة.

المطلب الأوّل: مفهوم التّنمية الشّاملة.

يتكوّن اصطلاح التّنمية الشّاملة من لفظتين، هما: التّنمية، والشّاملة. وتشير المعاجم اللغويّة إلى أنّ التّنمية تعني: الزّيادة والرّفعة في الأشياء؛ فقد قالت العرب: "نَمَى المال يَنْمِي: زاد، ونَمَى الخِضَابُ[١] يَنْمِي وَيَنُمُو: إذا زاد حمرةً وسوادًا، وتَنَمَّى الشّيء: ارتفع من مكان إلى مكان"[٢].

وأمّا لفظة الشّاملة: فتَعنِي عند العرب: العموم؛ يقولون: "شَمَلَهُم الأمر: إذا عَمَّهم"[٣].

وفي الاصطلاح:

يختلف تعريف التّنمية اصطلاحًا باعتبار ما تُضَاف له وما تَرتبط به؛ فكثيرًا ما نسمع في عالمنا المعاصر عبارات مثل: التّنمية الاجتماعيّة، والزراعيّة، والاقتصاديّة، والصناعيّة.. إلخ.

---

(١) الخِضَابُ: ما يُخْتَضَبُ به من حِنَّاءٍ ونحوه للزّينة. (الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة) للعلامة: أبي نصر الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ١٢١/١، مادة: خَضِبَ، بتصرّف، طبعة: دار العلم للملايين – بيروت.

(٢) معجم مقاييس اللغة للإمام ابن فارس الرّازي، (المتوفّى: ٣٩٥هـ)، ٤٧٩/٥، مادة: نَمَى، طبعة: دار الفكر.

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للإمام ابن سعيد اليمني (المتوفّى: ٥٧٣هـ)، مادة: شَمَلَ، ٣٥٤٤/٦، طبعة: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، ودار الفكر (دمشق – سوريّة).

فالتّنمية الاجتماعيّة تعني: "تحقيق رفاهية أفراد المجتمع، بتحسين ظروفهم الصحيّة والتربويّة والتعليميّة، والرّفع من دخلهم السّنوي، وتحسين أجورهم، والحفاظ على كرامتهم الإنسانيّة، وتكريس ثقافة حقوق الإنسان"(١).

وعرّفها "Amartya Sen" بأنّها: "كيفية توسيع قدرات النّاس وحرّياتهم للقيام بواجباتهم"(٢).

والتّنمية الزراعيّة عرّفتها منظمة الأغذية والزراعة (ESCWA) التّابعة للأمم المتّحدة بأنّها: "تعزيز كفاءة استخدام الموارد، وتحسين القدرة على تحمّل تغيّر المناخ، وضمان التكافؤ والمسؤوليّة الاجتماعيّة في قطاع الزّراعة وعلى مستوى النّظم الغذائيّة؛ لتحقيق الأمن الغذائي وتوفير التّغذية للجميع، في الحاضر وفي المستقبل"(٣).

وعرفتها منظمة الأغذية والزّراعة (FAO) للأمم المتّحدة بأنّها: الحفاظ على كفاية الأراضي للزّراعة؛ لضمان الأمن الغذائي، وتحسين مستوى المعيشة

---

(١) من أجل تنمية مستديمة، جميل حمداوي، ص١٤ .

(2) kadivar, Mouhamed ali, "Social Development and Revolution in Iran ", Sociology of Development journal Vol. 8, No. 2, pp. 213–237 .

(٣) بوابة المصطلحات الخاصّة بمنظّمة الأغذية والزّراعة للأمم المتّحدة، من خلال الرّابط التّالي:

https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%B1%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9

الحاليّة والمُستقبَلة، وزيادة دخل الفلاحين، والقضاء على الفقر، وتحفيز التّنمية الزّراعيّة الشّاملة[١].

والتّنمية الاقتصاديّة تعني: "استخدام الدّولة مواردها المتاحة لتحقيق معدل سريع للتّوسع الإقتصادي مِمَّا يُؤَدِّي إلى زيادة مطّردة في دخلها القومي، وفي نصيب الفرد من السّلع والخدمات، بالتغلّب على المعوّقات الإقتصاديّة وتوفير رؤوس الأموال والخبرة[٢].

وعرفها تودارو وسيميث "Todaro and Smith" بأنّها: "تحسين رفاهية النّاس؛ بزيادة دخل الفرد، والقضاء على الفقر، وتحسين جودة الصحّة، والتغيير الهيكلي من الزّراعة إلى النّشاط الصّناعي، والتّغيّرات السياسيّة والاجتماعيّة، ومشاركة الأغلبيّة في صنع القرار"[٣].

---

(1) Mahmud, Sabah Faihan(2021), Opportunities and Challenges of Sustainable Agricultural Development in Iraq, "International Journal of Social Relevance & Concern", vol.9, No. 1,pp 13-14.

(٢) معجم مصطلحات الرّعاية والتّنمية الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، ص٩٣، بتصرّف، طبعة: دار الكتاب المصري – القاهرة، ودار الكتاب اللبناني – ببيروت.

(3)Ogbeide-Osaretin, Evelyn Nwamaka, and Bright Orhewere. (2022). An Empirical Evidence of Energy Consumption and Economic Development Dynamics in Nigeria: What is the Role of Population?. Energy Economics Letters, Vol. 9, No. 1, 27-43

والتّنمية الصّناعيّة تعني: السّياسة المُخطَّطَة أو المستهدفة لبناء وتطوير الصّناعة الوطنيّة، بإقامة المشاريع الصناعيّة لغرض إجراء تغيير في البيئة الصّناعيّة للاقتصاد الوطني"[١].

وقد أصطلحت هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٥٦م على تعريف التّنمية بوجه عام بأنّها "العمليات التي بمقتضاها تُوجَّه الجهود لكلٍّ من الأهالي والحكومة بتحسين الأحوال الاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والثقافيّة، في المجتمعات المحليّة لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمم والإسهام في تقدّمها بأفضل ما يمكن"[٢].

وأمّا عن النظرة القرآنيّة لمفهوم التّنمية الشّاملة فبالإمكان أن نقول بأنّها تعني: الدّفع والتّحريض وطلب الزّيادة والرِّفعة في كلّ جوانب الحياة وفي شتّى المجالات بُغْيَة التقدّم والازدهار والسّعادة في الدّارين.

---

(١) الشراري، عطا الله بن حمود عليان "٢٠١٨م"، صندوق التنمية الصّناعية السّعودي وسبل تطويره: تقييم مالي شرعي، ص٢١، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشّريعة.

(٢) قاعدة بيانات الأمم المتحدة للمصطلحات UNTERM – منظّمة الأسكوا التابعة للأمم المتّحدة من خلال الرابط التالي:

https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%AA%D8%B7%D9%88%D9%8A%D8%B1

المطلب الثّاني: المفاهيم المتعلّقة بالتّنمية الشّاملة.

يتعلّق بمفهوم التّنمية الشّاملة مفهومان:

١- مفهوم التّنمية البشريّة: "وهي التّنمية التي تختصّ برفع قدرات ومهارات البشر بكلّ المجالات"(١).

٢- مفهوم التّنمية المستدامة: "وهي التّنمية التي تفي باحتياجات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال القادمة بما يُؤثِّر في قدراتها على الوفاء باحتياجاتها"(٢).

فالحاصل أنّ التّنمية البشريّة هي تنمية قدرات البشر، والتّنمية المستدامة هي مخرجات هؤلاء البشر من تقدّم في شتّى المجالات وتنميتها والحفاظ عليها للأجيال القادمة، وأنّ التّنمية البشريّة والمستدامة هما مكونا التّنمية الشّاملة؛ فهي نتيجة لهما.

وعلى ذلك نخلص من المبحث الأوّل إلى أنّ العالَم قد اهتمّ في الآونة الأخيرة بالتّنمية الشّاملة ودعا إليها ووصَّى بها؛ فما موقف القرآن الكريم منها؟ وإذا قلنا: بإن القرآن قد أقرّ لهذه الأجيال حقوقها، وبالتّالي عرف فكرة التّنمية الشّاملة ودعا إليه، يكون التّساؤل، كيف عَرِف القرآن التّنمية الشّاملة؟ وما أدلّة معرفته بها؟ وهو ما سنتعرّف عليه - بمشيئة الله تعالى - في المبحث الثّاني.

---

(١) التّنمية البشريّة، ستايش علي، ص٥، بتصرّف، طبعة مكتبة نور الإلكترونية.

(٢) البيئة والتّربية البيئيّة د/ سعاد جعفر، ود/ فيحاء نايف المومني ص٣٤، طبعة: مكتبة الرشد.

المبحث الثّاني: التّنمية الشّاملة في القرآن الكريم.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوّل: التّنمية الإيمانيّة.

المطلب الثّاني: التّنمية العلميّة.

المطلب الثّالث: التّنمية الاجتماعيّة.

المطلب الرّابع: التّنمية الاقتصاديّة.

المطلب الخامس: التّنمية الشّخصيّة.

المبحث الثّاني: التّنمية الشّاملة في القرآن الكريم،

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوّل: التّنمية الإيمانيّة.

ويشتمل على ثلاثة مقاصد كما يلي:

- المقصد الأوّل- وقفة موجزة مع الإيمان وبعض ثمراته:

الإيمان هو التّصديق القلبيّ[١]، بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ.. ﴾[٢]، وكما جاء في حديث النبي ﷺ الطويل مع جبريل عليه السلام: ".. فأخبرني عن الإيمان، قال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه"، قال: صدقت.."[٣].

فإذا استقرّت هذه الأركان الستّة في نفس المسلم، ووقر الإيمان في قلبه، وصدّقه عمله، كانت له الحياة الطيّبة في الدّنيا، والعيشة الرّاضية في الآخرة، قال ﷻ: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[٤]، واستخلفه الله في أرضه،

---

(١) وهو ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة في تعريف الإيمان. يراجع في ذلك على سبيل المثال: كتاب المواقف بشرح الجرجاني، ٣٢٢/٨، ط مطبعة السعادة، مصر.

(٢) سورة البقرة، صدر آية رقم: ٢٨٥ .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، كتاب الطهارة، باب معرفة الإيمان..، ٣٦/١، ورقمه: ٨، (صحيح مسلم (المتوفّى:٢٦١هـ)، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت).

(٤) سورة النّحل، آية رقم ٩٧ .

ومكّن له، وأمّنه في الدّنيا والآخرة، قال ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[١]، وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٢].

كما أنّ الإيمان الصادق مصدرٌ أساسيّ للثّبات أمام الفتن والأعداء، قال سبحانه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[٣] وقال عزّ قوله: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[٤]، وهو وسيلة لحفظ الدم والمال والعِرْض.

وبهذا الإيمان الصّادق يكون المسلم عزيزًا في نفسه بعزّة خالقه: قال تعالى: ﴿ ..وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .. ﴾[٥].. .

وفي أيامنا هذه نحن في أمسّ الحاجة إلى اليقين الذي لا يعتريه الشكّ، والتّصديق الكامل بما وردنا عن الله – تعالى– وعن نبيّه الكريم – عليه أفضل الصلوات والتسليم –؛ لكي تثبت الأمة في وجه المشكّكين في ثوابت الدّين،

---

(١) سورة النور، آية رقم: ٥٥ .

(٢) سورة الأنعام، آية رقم: ٨٢ .

(٣) سورة إبراهيم، آية رقم: ٢٧ .

(٤) سورة الأحزاب، آية رقم: ٢٢ .

(٥) سورة المنافقون، من الآية رقم: ٨ .

ويَعيش المسلم في ظل إيمانه في طمأنينة وسكون، واستقرار نفسيّ، وسعادة مع الله والنّاس.

- **المقصد الثّاني- التّنمية الإيمانيّة:**

ولَمَّا كان للإيمان آثار طيّبة في حياة المسلم والمجتمعات – على نحو ما سبق –؛ فقد دعانا القرآن الكريم إلى تنميته باعتباره ركيزة أساسيّة من ركائز التّنمية الشّاملة؛ ففي سورة "الأنفال" يصف الله المؤمنين الصّادقين مبيِّنًا أنّ من صفاتهم أنّهم إذا ذُكِر الله فزعت قلوبهم، واقشعرّت جلودهم خوفًا منه سبحانه وفزعًا من عقابه، وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا مع إيمانهم؛ لتدبرهم لمعانيه، وعلى الله سبحانه يتوكلون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه[١]، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٢].

فالمؤمن الحقّ إيمانه صادقٌ مُستَمرٌ وعمله في التّكليفات نشط مُتزايد لا ينقطع بحال، وهو ما وجدناه جليًّا في وصف الله للمؤمنين الصّادقين، وفي فعل الصّحابة الكرام ﷺ؛ فكانوا كُلَّما نزلت عليهم آيات القرآن الكريم ازدادوا قوّة في التّصديق بالله ﷻ وفي العمل عملًا آخر يضيفوه إلى سابقه؛ فعندما نزل الأمر بالصّلاة آمنوا بها وأقاموها، ثمّ يأتي الصّوم فيمتثلوا للأمر به ويصوموا ..، فتكون الطّاعة والانقياد والإذعان والعمل الدّائم المُتَزايد، يقول علاّمتنا الأكبر وشيخ أزهرنا الأشرف الأستاذ الدكتور/ سيد طنطاوي – رحمه الله – في تفسيره: "أي: إنّ من صفات هؤلاء المؤمنين أنّهم إذا قُرئَت عليهم آيات الله أي: حججه وهي القرآن زادتهم إيمانا، أي: زادتهم قوّةً في التّصديق،

---

(١) يراجع في هذا المعنى: جامع البيان للطّبري، ٣٨٥/١٣، طبعة: مؤسسة الرّسالة.

(٢) سورة الأنفال، آية رقم: ٢ .

وشدّةً في الإذعان، ورسوخًا في اليقين، ونشاطًا في الأعمال الصالحة، وسعةً في العلم والمعرفة"[١].

وهذه آية أخرى ليست ببعيدة عن هذا المعنى توضح حال المؤمنين إبّان نزول سورة جديدة من القرآن الكريم على قلب نبيّنا ﷺ وتعطيهم البشارة، وحال المنافقين مع نزول السّورة وتحكم عليهم بالذلّة والخسران.

وشتّان بين الحالتين! حالة المؤمنين الصادقين الذين قال الحقّ فيهم مجيبًا على سؤال المنافقين: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾[٢]فهم مع نزول سورة جديدة من القرآن يزداد إيمانهم ويقينهم بالله، وتُثلَج صدورهم؛ فتزداد بها أعمالهم، ويفرحون بفضل الله عليهم بزول السّورة لِمَا فيها من منافع دنيويّة وأخرويّة؛ يقول الشّيخ المراغي في تفسيره: "فأمّا المؤمنون فيزيدهم نزول القرآن زيادة اليقين واطمئنان القلب، ويزيدهم قوّة فى العمل به والتقرّب إلى ربهم، وهم يستبشرون بنزولها لِمَا يرجون من خير هذه الزّيادة، بتزكية أنفسهم وسعادتهم فى الدّنيا والآخرة"[٣].

شتّان بين ما سبق وحالة المنافقين الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾[٤]؛ فالمنافقون ازدادوا بنزول السّورة نفاقًا إلى نفاقهم؛ وشكًّا إلى شكّهم؛

---

(١) التّفسير الوسيط للعلّامة: طنطاوي، (المتوفى: ١٤٣١ هـ) ، ٣٠/٦، طبعة: دار نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الفجّالة – القاهرة.

(٢) سورة التوبة، آية رقم: ١٢٤ .

(٣) تفسير المراغي، (المتوفى:١٣٧١ هـ)، ٥١/١١، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

(٤) سورة التوبة، آية رقم: ١٢٥ .

"لأنّهم كلّما جدّدوا بتجديد الله الوحى كفرًا ونفاقًا، ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم"[١]، "إلى أن ماتوا على الكفر والنّفاق على مقتضى سننه تعالى فى تأثير الأعمال فى صفات النّفس وتغيير هواجس الفكر"[٢].

فالحاصل إذن: أنّ المسلم الصّادق في الإيمان يُنمَّى إيمانه بنزول السّورة ويَسعَد في الدّارين، وأنّ المنافق والكافر يُنمَّى نفاقه وكفره بنزول السّورة ويموتان على ذلك.

- **المقصد الثّالث- أثر التّنمية الإيمانيّة في حياة المسلم وسلوكه:**

إنّ الإيمان ما جاء إلَّا لإصلاح الفرد والجماعة، فإذا ما نمّاه المسلم انعكس ذلك إيجابًا في حياته وعلى سلوكه؛ فيسعى إلى الأخلاق الفاضلة، ويبتعد عن الأخلاق الرزيلة، ويعيش في تحررّ، وكرامة، وعزّة، وطمأنينة، واستقرار نفسيّ، ورضا بقضاء الله وقدره، وسلوك حسن مع الله والناس، وهو ما قرّره الحقّ ﷻ في قوله: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ ﴾[٣]؛ فالذين هداهم الله إلى الإيمان وإلى العمل الصّالح المتجدّد يزيدهم الله هدًى على هداهم ونشاطًا على نشاطهم؛ فينعكس ذلك على سلوكهم، ويثيبهم الحقّ ﷻ على ذلك.

وتلك هي آية أخرى ليست ببعيدة عن هذا المعنى يقول الله فيها: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾[٤]؛ "فالذين اهتدوا إلى الحقّ، واستجابوا له، وخالطت بشاشته قلوبهم، فهم الذين زادهم الله- تعالى- هداية على هدايتهم،

---

(١) تفسير الكشاف للزّمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ٣٢٤/٢، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت.

(٢) تفسير المراغي، ٥٢/١١ .

(٣) سورة مريم، من الآية رقم: ٧٦ .

(٤) سورة محمّد ﷺ، من الآية رقم: ١٧ .

وزادهم علمًا وبصيرةً وفقهًا في الدّين، ومنحهم بفضله وإحسانه خلق التّقوى والخشية منه، والطّاعة لأمره، وكافأهم على ذلك بما يستحقّون من ثواب جزيل"[١].

وهذه آية ثالثة تُطمئِن المؤمنين بعد جزعهم من شروط صلح الحديبية التي ظنّوا أنّ فيها إجحافًا للمسلمين؛ فيُودِع الله في قلوبهم الطّمأنينة والهدوء النّفسيّ؛ فيزدادوا مع الإيمان بالله ورسوله إيمانًا ومع الاتّباع اتّباعًا[٢]، يقول ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[٣].

فالحاصل أنّ إيمان المسلم يجب أن ينمو بانتظام وأنّ ذلك ينعكس إيجابًا في حياته وعلى سلوكه؛ فإذا لم يُنَمِّ المسلم إيمانه انعكس ذلك سلبًا على حياته وفي سلوكه، وبالتّالي يتأثر المجتمع كلّه؛ فكلّما تجدّد الإيمان في قلب المؤمن ازداد نشاطًا في الإيمان والعمل، وكان حريصًا على بلوغ أعلى الدرجات، والتقرّب منه سبحانه، وإرضائه، وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"[٤].

---

(١) التّفسير الوسيط، ٢٣٣/١٣ .

(٢) وهو معنى ما ذكره العلاّمة ابن كثير (المتوفّى: ٧٧٤هـ) في تفسير القرآن العظيم، ٣٢٨/٧، طبعة: دار طيبة للنّشر والتّوزيع.

(٣) سورة الفتح، من الآية رقم: ٤ .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب التّوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ - [آل عمران: ٢٨] -، ١٢١/٩، ورقمه: ٧٤٠٥ . (صحيح البخاري المتوفى:

المطلب الثّاني: التّنمية العلميّة.

ويشتمل على خمسة مقاصد كما يلي:

- **المقصد الأوّل- كتابنا كتاب اقرأ:**

القراءة هي مفتاح العلوم؛ لذلك افتتح الله كتابه بها؛ فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[(١)] إيذانًا بفضل العلم ورفعةً لشأنه؛ فخاطب حبيبه ﷺ أوّل ماخاطبه بالقراءة مفتتحها باسم ربّه المتفرّد بالخلق، الذي خلق كلّ إنسان من "أخسّ الأشياء من قطعة دم غليظ أحمر، وآخِر أمره هو صيرورته عالمًا بحقائق الأشياء"[(٢)]، ثمّ ذكّره ﷺ مرّة أخرى بالقراءة؛ "لأنّها من الملكات التي لا ترسخ في النّفس إلا بالتّكرار، وبيّن له أنّ مَنْ أمره بالقراءة هو الأكرم من كلّ كريم، والأعظم من كلّ عظيم"[(٣)]؛ فمن كرمه سبحانه أنّه علّم الإنسان الخطّ بالقلم، وعلّمه "جميع ما هو مُتمَتِّع به من العلم، وممتاز به عن غيره من الحيوان، وكان فى بدء أمره لا يعلم شيئًا"[(٤)].

فالعلم رحمة للخلق، ومن أفضل نعم الله على الإنسان؛ فلعمري لولا "القراءة والكتابة بالقلم، ما حُفظَت العلوم، ولا أُحصِيَت الجيوش، ولضاعت الدِّيَانَات، ولا

---

٢٥٦ هـ)، طبعة: دار طوق النجاة "مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي").

(١) سورة العلق، من الآية رقم: ١-٥ .

(٢) مفاتيح الغيب للرّازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ٢١٨/٣٢، بتصرّف، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت.

(٣) التّفسير الوسيط، ٤٥٤/١٥، بتصرّف.

(٤) تفسير المراغي، ٢٠٠/٣٠ .

عَرِف الأواخر معارف الأوائل وعلومهم ومخترعاتهم وفنونهم، ولما سُجِّل تاريخ السّابقين المسيئين منهم والمحسنين، ولا كان علمهم نبراسًا يَهتدِي به الخلف، ويُبنَى عليه ما به تَرقَى الأمم وتتقدّم المخترعات"[١].

- **المقصد الثّاني- فضل العلم والعلماء والتّحذير من الجهل.**

إذا كان الإنسان لا يَستغني بحال عن الأكل والشّرب؛ فإنّ العلم كذلك؛ لأنّه ضرورة من ضرورات الحياة؛ فبالعلم تُقَام الأمم، وتَنشَأ الحضارات، وتَتَقدَّم المجتمعات؛ وبه يُواجِه الإنسان مشاكله؛ فيسمو على فقره ورجعيّته، ويَصنَع ما يُحتَاج إليه؛ فيلحق برَكْب المُتقدِّمين؛ ولهذا لم يسبق للقرآن مثيل في الاعتناء بالعلم وأهله؛ فوضع شهادة العلماء بالألوهيّة له – سبحانه – بجوار شهادة الله وملائكته؛ فقال في محكم تنزيله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[٢]، يقول الإمام ابن كثير في معرض تفسيره لهذه الآية: "ثمّ قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته؛ فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام"[٣]، ولم يُسوِّ الله في قرآنه بين العاقل اللبيب العالم بربّه ودينه، وبين الجاهل به ودينه الذي يعيش في غيّه يعمه وضلاله يُصَمِّم؛ فقال: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤].

---

(١) تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة/ محمّد الأمين الشّافعي، ١٥٧/٢٢، بتصرّف، طبعة: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم: ١٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٢٤/٢ .

(٤) سورة الزّمر، آية رقم: ٩ .

إنّ العلماء هم ورثة الأنبياء؛ فالأنبياء لم يُوَرِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنّما ورَّثُوا العلم، فالعلماء أشدّ النّاس خشية له سبحانه؛ لأنّهم يَعرِفوه حقّ المعرفة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[١]أي: "إنَّما يخشاه – تعالى – بالغيب العالمون به ﷻ، وبما يليق به من صفاتِه الجليلةِ وأفعالِه الجميلةِ؛ لِمَا أنَّ مدارَ الخشية معرفة المَخشِى والعلم بشؤونه فمَن كان أعلم به – تعالى – كانَ أخشى منه ﷻ"[٢].

والعلم مرتبط بالإيمان فلا يؤمن به سبحانه إلّا مَنْ استدلّ عليه بالعلم والنَّظَر، وهما سبب لرَفْع الدرجات؛ قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٣].

وكفى بالعلم شَرفًا أنّ الله ﷻ تَعدَّى بفضله من عالم الإنسان إلى عالم الحيوان فلم يسوّ في التّفضيل بين الكلب المُعلَّم والكلب غير المُعَلَّم؛ فقال: ﴿.. وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ..﴾[٤]؛ فأحلّ لنا الأكل مِمّا أمسكت الكلاب المُعَلَّمة، يقول الدكتور/ طنطاوي في تفسيره: "أي: تُعَلَّمون هذه الجوارح بعض ما علّمكم الله إيّاه من فنون العلم والمعرفة بأن تدربوهنّ على وسائل التّحايل وعلى الطّرق المتنوّعة

---

(١) سورة فاطر، من الآية رقم: ٢٨ .

(٢) إرشاد العقل السّليم لأبي السّعود (المتوفى: ٩٨٢هـ)، ١٥١/٧، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت.

(٣) سورة المجادلة، من الآية رقم: ١١ .

(٤) سورة المائدة، آية رقم: ٤ .

للاصطياد وعلى الانقياد لأمركم عند الإرسال وعند الطّلب، وعلى عدم الأكل من المصيد بعد صيده"[١].

ولَمَّا كان للعلم والعلماء من فضل عظيم، ومكانة سامية، ومنزلة رفيعة؛ فقد حذّر الله أنبيائه من الجهل في كثير من آيات القرآن؛ فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾[٢]؛ فأظهر فضل آدم عليه السلام على سائر الملائكة – عليهم السّلام – بقدر ما ابتعد عن الجهل وعلّمه الله من العلم، وقال عز وجل لسيّدنا نوح عليه السلام: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[٣]"أي: أني أعظك وعظًا تكون به من الكاملين، وتنجو به من صفات الجاهلين"[٤]، وامتنّ الله تعالى على خليله إبراهيم بنعمة العلم؛ فقال في شأنه مع أبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا ﴾[٥]، أي: "يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يُؤتَك فاقبل منّي نصيحتي أُبَصِّرْكَ هَدْى الطّريق المستوي الذي لا تضلّ فيه إن لزمته، وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه"[٦]، وعلّم يوسف عليه السلام تعبير الرؤى؛ فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ.. ﴾[٧]، وتعوّذ من الجهل كليم الله

---

(١) التّفسير الوسيط، ٤٧/٤ .

(٢) سورة البقرة، من الآية رقم: ٣٣ .

(٣) سورة هود، من الآية رقم: ٤٦ .

(٤) تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان، للعلامة: السّعدي (المتوفّى: ١٣٧٦هـ)، ص٣٨٢، طبعة: مؤسسة الرّسالة.

(٥) سورة مريم، آية رقم: ٤٣ .

(٦) جامع البيان، ٢٠٣/١٨، ٢٠٤، بتصرّف.

(٧) سورة يوسف، من الآية رقم: ٦ .

موسى عليه السلام: ﴿ ..قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[١]، والمعنى: "أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ الذين يتكلّمون بالكلام الذي لا فائدة فيه"[٢]، وتفضّل على داود وسليمان – عليهما السلام – بالعلم الغزير في الدّين والدّنيا؛ فقال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣]، "والمعنى: والله لقد أعطينا داود وابنه سليمان – عليهما السلام – علمًا واسعًا من عندنا، ومنحناهما بفضلنا وإحساننا معرفة غزيرة بعلوم الدّين والدّنيا، أمّا داود فقد أعطاه – سبحانه– علم الزّبور، فكان يقرؤه بصوت جميل، كما علّمه صناعة الدّروع، وأمّا سليمان فقد آتاه– سبحانه– ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلّمه منطق الطّير، ورُزِق الحكم السّديد بين النّاس، وقالا: الحمد لله الذي فضلنا بسبب ما آتانا من علم ونِعَم، على كثير من عباده المؤمنين، الذين لم ينالوا ما نلنا من خيره وبرّه– سبحانه–"[٤]، وامتنّ الله على خاتمهم ﷺ بالقرآن والعلم النافع؛ فأصاب بهما الحقّ في القول والعمل، وعُلِّم بهما ما لم يكن يعلم؛ فقال: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[٥]، "أي: إنّ الله– تعالى– قد امتنّ عليك يا محمّد بأن أنزل عليك القرآن الذي يَهدى للتي هي أقوم، وأنزل عليك العلم النّافع الذي يجعلك تصيب الحقّ في قولك وعملك، وعلمك ما لم تكن تعلم من أخبار الأوّلين

---

(١) سورة البقرة، من الآية رقم: ٦٧ .

(٢) المرجع السّابق، ص٥٤، بتصرّف.

(٣) سورة النمل، آية رقم: ١٥ .

(٤) التفسير الوسيط، ٣١٢/١٠، بتصرّف واختصار.

(٥) سورة النساء، آية رقم: ١١٣ .

والآخرين، ومن خفيّات الأمور، ومن أمور الدّين والشّرائع، وكان فضل الله عليك عظيمًا عِظَمًا لا تَحدُّه عبارة، ولا تحيط به إشارة"[١].

فمَن أُوتِي العلم الصّالح المُؤدِّى إلى العمل فقد أُوتِيَ خيرًا كثيرًا، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٢]؛ ولهذا حُقَّ لأهل العلم أن يفرحوا بما أتاهم الله من علم نافع وهو خير ممَّا يجمعه النّاس من متاع الدّنيا الزائل، قال ﷻ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٣]؛ فولاه ما اهتدى المسلم إلى الإسلام ولَمَا سَعِد بتعاليمه في الدّنيا والآخرة.

- **المقصد الثّالث– أدوات العلم:**

ولم يكتف القرآن بالدّعوة إلى طلب العلم وبيان فضله ورفعة أهله، والتحذير من الجهل؛ بل حثّ على أدواته جريًا على ما فيه النّاس من غفلة عن العلم؛ فوجّههم إلى أدواته في ذاتهم؛ قائلًا: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[٤]؛ أي: "لا تقل للنّاس وفيهم ما لا علم لك به، فترميهم بالباطل، وتشهد عليهم بغير الحقّ، فذلك هو القفو"[٥]؛ فالسّمع وسيلة لنقل العلوم، والبصر وسيلة للمُشَاهدة، والقلب وسيلة للنّظر والتدبّر، وما أعظمها من نعم عنها يسأل العبد أمام الله ﷻ.

---

(١) المرجع السّابق، ٣/٣٠٥، بتصرّف.

(٢) سورة البقرة، آية رقم: ٢٦٩ .

(٣) سورة يونس، آية رقم: ٥٨ .

(٤) سورة الإسراء، آية رقم: ٣٦ .

(٥) مفاتيح الغيب، ١٧/٤٤٨ .

ودعانا القرآن أيضًا إلى الخطّ بالقلم كوسيلة من وسائل حفظ العلوم؛ فقال مُقسِمًا به: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[١]، وقال: ﴿ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴾[٢]، وذَكَر في القرآن ما يُكتَب فيه وهو الورق وغيره؛ فقال مُبيِّنًا أنّ الكافرين دأبهم العناد والجحود عن الحقّ ولو جاءهم الله تعالى بكتاب مكتوب فيه دليل رسالة النبيّ محمّد ﷺ ما آمنو به ولوَصَفُوه بالسّحر: ﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾[٣]، ولم يقف القرآن عند هذا الحدّ من الاهتمام بالعلم وأدواته؛ بل ذكر ما تُمَدّ به الدّواة من الحبر؛ فقال: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾[٤]، والمعنى: "قل يا محمد ﷺ لو كان ماء البحر مدادًا للقلم الذي تُكْتَبُ به كلمات ربى وحكمه وآياته الدالة عليه، لفَرَغ البحر قبل أن يَفرُغ من كتابة ذلك ولو جئنا بمثل البحر آخر، ثمّ آخر، وهلمّ جرًّا، بحور تَمُدُّهُ وَيُكْتَبُ بها، لَمَا نفدت كلمات الله تعالى"[٥].. .

- **المقصد الرّابع– حكم طلب العلم:**

لا شكّ أنّ معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وما ينبغي أن يُعبَد عليه فرض عين على كلّ مسلم ومسلمه، قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ .. ﴾[٦]أي: "فاعلم يا محمّد أنّه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهيّة، ويجوز لك وللخلق

---

(١) سورة القلم، آية رقم: ١ .

(٢) سورة العلق، آية رقم: ٤ .

(٣) سورة الأنعام، آية رقم: ٧ .

(٤) سورة الكهف، آية رقم: ١٠٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم، ٢٠٤/٥ .

(٦) سورة محمّد، من الآية رقم: ١٩ .

عبادته، إلّا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كلّ شيء، يَدِين له بالربوبيّة كل ما دونه"[١]، وأمّا تعلُّم العلم الشّرعي والدّنيوي؛ فهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الطّلب عن الباقين؛ قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[٢]، والمعنى: "وما كان من شأن المؤمنين، أن ينفروا جميعًا في كل سريّة تخرج للجهاد، ويتركوا الرسول ﷺ وحده بالمدينة، وإنّما يجب عليهم النّفير العام إذا ما دعاهم ﷺ إلى ذلك، فحين لم يكن هناك موجب لنفير الكافّة، فهلا نفر من كل فرقة من المؤمنين طائفة للجهاد، وتبقى طائفة أخرى منهم ليتعلّموا أحكام الدّين من رسولهم ﷺ، وليعلموهم ويخبروهم بما أُمِرُوا به أو نُهُوا عنه عند رجوعهم؛ لعل هؤلاء الرّاجعين إليهم من الغزو يحذرون ما نهوا عنه"[٣].

يقول الإمام القرطبيّ في معرض تفسيره لهذه الآية: "طلب العلم ينقسم قسمين: فرض على الأعيان، كالصّلاة والزّكاة والصّيام، وفرض على الكفاية، كتحصيل الحقوق، والفصل بين الخصوم ونحوه، إذ لا يصلح أن يتعلّمه جميع النّاس فتضيع أحوالهم، وتنقص أو تبطل معايشهم، فَتَعَيَّنَ بين الحالين أن يقوم به البعض من غير تعيين، وذلك بحسب ما يسّره الله لعباده وقسمه بينهم من رحمته وحكمته بسابق قدرته وكلمته"[٤].

---

(١) جامع البيان، ١٧٣/٢٢ .

(٢) سورة التّوبة، آية رقم: ١٢٢ .

(٣) التّفسير الوسيط، ٤٢٧/٦، بتصرّف.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للعلّامة القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ٢٩٥/٨، بتصرّف، طبعة: دار الكتب المصرية – القاهرة.

وقد يكون من أنواع العلم ما هو حرام كتعلّم السّحر وغيره ممّا يُغضِب الحقّ ﷻ، وهو ما استنبطه الشّيخ/ الجزائريّ عند تفسيره لقوله سبحانه: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[1]؛ إذ تراه يقول بعد تفسيره للآية: "ومن هداية الآيتين: كفر السّاحر وحرمة تعلّم السّحر، وحرمة استعماله"[2].

- **المقصد الخامس- التّنمية العلميّة:**

العلم ركيزة أساسيّة من ركائز التّنمية الشّاملة؛ فإذا مانمّاه المسلم بانتظام ازداد قربًا من ربّه – سبحانه –، وتوسّع أفقه، واستنار فكره، وسعى إلى إصلاح نفسه وتقدّم مجتمعه، وربّنا ﷻ لم يطلب من حبيبه ﷺ في القرآن الكريم الاستزادة من شيء مثلما طلب منه الاستزادة في العلم؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[3] "أي: زدني بالقرآن؛ فكلّما أنزل عليه ﷺ شيء منه زاد به علمه"[4]، ويقول الإمام الألوسيّ في تفسيره: "واستُدِلّ بالآية على فضل

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ١٠٢ .

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للشّيخ الجزائري، ٩٢/١، طبعة: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، المملكة العربية السّعودية.

(٣) سورة طه، من الآية رقم: ١١٤ .

(٤) تفسير الجلالين، للعلّامتين: المحلّي (المتوفى: ٨٦٤هـ) والسّيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ص٤١٧، بتصرّف، طبعة: دار الحديث – القاهرة.

العلم حيث أُمِر ﷺ بطلب زيادته"[١] ويقول العلّامة الجزائريّ في تفسيره: "وفيه إشعار بأنّه دائمًا في حاجة إلى المزيد؛ ولذا فلا يستعجل ولكن يتريّث ويتمهّل"[٢] ويقول الشيخ الشّعراوي في تفسيره: "هذا توجيه للنبي ﷺ للاستزادة من العلم، فما دُمْتَ أنت يا رب الحافظ فزِدْني منه؛ ذلك لأنّ رسول الله ﷺ سيحتاج إلى علم تقوم عليه حركة الحياة من لَدُنْه إلى أن تقوم السّاعة، عِلْمٌ يشمل الأزمنة والأمكنة، فلا بُدَّ له أنْ يُعَدَّ الإعدادَ اللازم لهذه المهمة"[٣].

إنّ القرآن يدعو إلى العلم والتقدّم الذي تستفيد منه الحضارة الإنسانيّة ، ويحثّ على النّظر في الكون ومآلات الأمور، ويُنشِئ العقليّة العلمية التي تُبدِع وتَبتكِر وتسعى دومًا إلى الوقوف على كلّ جديد في العلم، ويرفض العقليّة الجاهلة المستسلمة لكلّ ما يتوارثه النّاس دون مناقشة له، أو المُكتَفِيَة بما حَصَّلت من علم؛ فالقرآن الكريم يُعَلِّمنا استحباب طلب المزيد من العلم مهما كان المرء عالمًا، واغتنام لقاء العلماء مهما بَعُدَت المسافات، والاستعانة على ذلك بالأصحاب، وفي سبيل الاستكثار من العلم رَكِب سيّدنا موسى عليه السلام البحر وترك الأهل، وما منعه مقام النبوّة العليّ من الوقوف أمام عبد صالح للتعلّم منه، وفي ذلك يقول الحقّ ﷻ: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[٤] أي: "قال له موسى عليه السلام هل أصحبك وأرافقك – سؤال بتلطّف لا على وجه الإلزام والإجبار، وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المُتَعَلِّم من العالم – على أن

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، للعلّامة: الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، ٥٧٧/٨، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) أيسر التّفاسير، ٣/ ٣٨٢ .

(٣) تفسير الشّيخ الشّعراوي (المتوفّى: ١٤١٨هـ)، ٩٤١٥/١٥، طبعة: مطابع أخبار اليوم.

(٤) سورة الكهف، آية رقم: ٦٦ .

تُعَلَّمَنِ ممّا علّمك الله شيئًا، أسترشد به في أمري، من علم نافع وعمل صالح"[١].

"ففي الآية دليل على أنّ المُتَعَلِّم تبع للعَالِم وإن تفاوتت المراتب، وليس في ذلك ما يدلّ على أنّ الخضر عليه السلام أفضل من موسى عليه السلام؛ فقد يأخذ الفاضل عن الفاضل، وقد يأخذ الفاضل عن المفضول إذا اختصّ أحدهما بعلم لا يعلمه الآخر؛ فقد كان علم موسى عليه السلام علم الأحكام الشّرعية والقضاء بظاهرها، وكان علم الخضر عليه السلام علم بعض الغيب ومعرفة البواطن"[٢].

وجاء في تفسير الجلالين تعليلًا لسؤال موسى عليه السلام العلم من الخضر عليه السلام فقالا: "وسأله ذلك؛ لأنّ الزّيادة في العلم مطلوبة"[٣]قلت: وذلك مناط تنمية العلم؛ فالعلم يجب أن ينمو باضطراد ما حيا الإنسان؛ ففيه التقدّم والرّفعة والسّعادة في الدّارين.

إنّ العلم حياة ونور، والجهل موت وظلمة، والشرّ كلّه سببه عدم الحياة والنّور، والنّور يكشف عن حقائق الأشياء؛ فكلّما زاد حظّ العبد من العلم كلّما زاد حظّه من النّور والهدى الذي يُمَيِّز به بين الحقّ والباطل، والأمّة الإسلاميّة لا يمكن لها أن تنهض من عَثْرَتِها إلا بالعلم، وما كانت البشريّة لتصل إلى ما وصلت إليه إلا بالعلم والبحث العلمي، ومن ثمّ فالتّنمية الشّاملة تتطلّب اكتساب المعارف، وتعليم مستمرّ، وتطوير ثقافي؛ فالجانب الثقافيّ الحقيقيّ يرفع من مستوى تفكير الأمّة ووعيها، ويساهم بدوره في التّنمية الشّاملة واللّحاق بركب الحضارة الماديّة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ١٨١/٥، بتصرّف.

(٢) فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطّيب القِنَّوجي (المتوفّى: ١٣٠٧هـ)، ٨١/٨، طبعة: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت.

(٣) تفسير الجلالين، ص٣٩٠ .

المطلب الثّالث: التّنمية الاجتماعيّة.

ويشتمل على سبعة مقاصد كما يلي:

- المقصد الأوّل- تمحيص المجتمع:

إنّ القرآن الكريم قد أدّى واجبه الأكمل نحو البشريّة وتطوّرها؛ فبمجرّد أن نزل ساهم في تطوّر مجتمعه ونقله من حياة الظّلم والوثنيّة إلى حياة جديدة أشرقت عدلًا وتوحيدًا في نفس كلّ مسلم تمسّك بالقرآن وبتعاليمه وهديه التي مشى بها رسول الله ﷺ بين الناس.

فتُرَاه يتفحّص المجتمع الذي حَلّ فيه عاداته، وتقاليده، وألفاظه وما تدلّ عليه، فما كان منها متوافقًا مع القرآن أبقاه وأمر المسلمين به، وما كان منها مُخالفًا للقرآن أعرض عنه ونهى المسلمين عنه، وكلّ ذلك بأمر من ربّ العالمين الذي يعلم مَنْ خَلَق وهو اللطيف الخبير؛ قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١].

فالقرآن غيّر عادة الجاهليّين القديمة حينما كانو يُحرِمون بالحج أو العمرة كانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها اعتقادًا منهم أنّ في ذلك إثمًا ومعصيةً لله ﷻ، وإنّما كانو يَنْقُبُون في ظَهْر البيت ويدخلون اعتقادًا منهم أنّ في ذلك طاعةً لله وبرًا؛ فبيّن لهم القرآن الكريم أنّ طاعة الحقّ ﷻ في اتّقاء حرماته حيث قال: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]، يقول الإمام الطّبريّ في تفسيره: "وليس البرّ أيّها

---

(١) سورة الملك، آية رقم: ١٤ .

(٢) سورة البقرة، آية رقم: ١٨٩ .

النّاس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها، ولكنّ البرّ من اتّقى الله فخافه وتجنّب محارمه، وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها، فأمّا إتيان البيوت من ظهورها فلا برّ لله فيه، فأتوها من حيث شئتم من أبوابها وغير أبوابها، ما لم تَعتَقِدُوا تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال، فإنّ ذلك غير جائز لكم اعتقاده؛ لأنّه ممّا لم أُحَرِّمه عليكم"[١].

وفي مجال العبادات غَيَّر القرآن مفهوم النّاس عن أماكن العبادات، فحينما كان اليهود يتوجهون في صلاتهم إلى مغرب بيت المقدس، وكان النّصارى يتوجّهون في صلاتهم إلى مشرق بيت المقدس، وكان المسلمون يتوجّهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثمّ حوّل الله لهم قبلتهم إلى الكعبة المشرّفة، وبيّن الله للجميع أنّ طاعته ﷻ ليست في الاتجاه نحو المشرق أو المغرب، وإنّما في الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين ..، حيث قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[٢]، يقول الإمام المراغي في تفسيره: "لمّا أمر الله تعالى بتحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، طال خوض أهل الكتاب في ذلك، واحتدم الجدل بينهم وبين المسلمين حتى بلغ أَشُدَّه، وكانوا يرون أنّ الصّلاة إلى غير قبلتهم لا يقبلها الله – تعالى –، ولا يكون صاحبها مُتَّبِعًا دين الأنبياء، كما كان المسلمون يرون أنّ الصّلاة لا يرضى عنها الله إلا إذا كانت

(١) جامع البيان، ٣/٥٦٠ .

(٢) سورة البقرة، آية رقم: ١٧٧ .

إلى المسجد الحرام قبلة إبراهيم أبي الأنبياء جميعًا؛ فبيَّن الله في تلكم الآيات أنّ تولية الوجوه قبلة مخصوصة ليس هو البرّ المقصود من الدّين؛ لأنّه إنّما شَرَّع لتذكير المصلى بأنّه يناجى ربّه، ويدعوه وحده، ويعرض عن كلّ ما سواه، وليكون شعارًا لاجتماع الأمة على مقصد واحد، فيكون في ذلك تعويدهم الاتّفاق في سائر شؤونهم وأغراضهم وتوحيد جهودهم"[١].

وفي مجال تغيير الأخلاق غيَّر القرآن أخلاق العرب نحو الأفضل، فبيّن لهم فساد ما يعتقدون وخطأ ما يفهمون من التّباهي بأنسابهم والتّفاخر بها أمام بعضهم البعض، مُبَيِّنًا لهم أنّ التّقوى هي نسب من لا نسب له، وأنّه "لا فضل لواحد على آخر إلا بالتّقوى والصّلاح وكمال النفس لا بالأمور الدنيوية الزائلة"[٢]؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[٣].

فالحاصل إذن من هذا كلّه: أنّ القرآن تفحّص المجتمع ونَمَّى عاداته، وتقاليده، وعباداته، وأخلاقه نحو الأفضل، وهذه الرِّفعة والزيادة هي عين التّنمية الاجتماعيّة.

- **المقصد الثّاني- صلاح المجتمع مقرون باستقامة عقيدته:**

لقد جاء القرآن الكريم يدعو إلى تكوين مجتمع فاضل يؤمن أصحابه بالله تعالى ويخلصون له في العبادة كأساس للتّنمية المجتمعيّة وتحقيق الرّفاهيّة؛ فلا يُمكُن لأيّ مجتمع أنّ يتقدم دون أن يؤمن أفراده بالله تعالى، ويشكروه على نعمه كي تدوم؛ فإنّ شكر النّعم يُنمِّيها ويزيدها، وجحد النّعمة ينقصها

(١) تفسير المراغي، ٥٤/٢ .

(٢) المرجع السّابق، ١٤٢/٢٦ .

(٣) سورة الحجرات، آية رقم: ١٣ .

ويمحوها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾(١) .

إنّ الغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله وحده؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢)، وما بعث الله النبيّين والرسل – عليهم السلام – على اختلاف أزمانهم وأماكنهم إلا لدعوة النّاس إلى عبادة الله الواحد، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٣)، وبيّن الله في قرآنه "أنّ الذين يستمسكون بأوامر الكتاب ويعتصمون بحبله فى جميع شؤونهم، ويقيمون الصّلاة التي هى عماد الدّين وركن منه متين – كعبد الله بن سلام وأصحابه – لا نضيع أجرهم؛ لأنّهم قد أصلحوا أعمالهم، والله لا يضيع أجر المصلحين"(٤)؛ فقال: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾(٥).

فالإيمان بالله تعالى وحده سبب لقيام الحضارات، وازدهار الأمم ونموّها، ورفاهية العيش، والرّزق الكثير، وسقيا الماء الوفير؛ والشّرك بالله ﷻ سبب لزوال الحضارات، وانحطاط الأمم، وضيق الرّزق، وندرة الماء، قال تعالى: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ

(١) سورة إبراهيم، آية رقم: ٧ .
(٢) سورة الذّاريات، آية رقم: ٥٦ .
(٣) سورة الأنبياء، آية رقم: ٢٥ .
(٤) تفسير المراغي، ٩/١٠٠، ١٠١ .
(٥) سورة الأعراف، آية رقم: ١٧٠ .
(٦) سورة الجن، آية رقم: ١٦ .

ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾[١]، والآيات في هذا المضمار كثيرة.

فالحاصل إذن: أنّ الإيمان بالله ﷻ سبب لرفعة المجتمعات ونموّها، وأنّ الكفر به سبب لزوال المجتمعات ونقصانها.

- **المقصد الثّالث- بناء الأسرة:**

ولَمَّا فرغ القرآن من تفحيص المجتمع وبنائه على العقيدة الصحيحة، توجّه لبناء وتنمية اللبنة الأولى للمجتمع وهو الفرد المسلم الذي يُكَوِّن الأسرة والتي ستكون بمثابة النّواة الأولى للمجتمع المسلم؛ فنمَّى رغباته وأشبع شهواته عن طريق دعوته إلى الزواج وترغيب النّاس فيه؛ فقال: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾[٢] وبيّن له أن الأصل في هذا الزواج هو السّكن والمودة بين الزوجين؛ فقال: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣]، وأنّ المعيشة بينهما قائمة على المعروف وطيب القول والفعل والصبر عند بزوغ أسباب الكراهية فعساها تكون خيرًا؛ فقال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾[٤]، يقول ابن كثير في تفسيره: "﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ أي: طيبوا أقوالكم لهنّ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحبّ ذلك

---

(١) سورة الأعراف، آية رقم: ٩٦ .

(٢) سورة النّور، آية رقم: ٣٢ .

(٣) سورة الروم، آية رقم: ٢١ .

(٤) سورة النساء، من الآية رقم: ١٩ .

منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[١]؛ فإن استحالت العشرة بينهما بالمعروف ولم يُمكِن الصّلح كان أبغض الحلال عند الله تعالى وهو الطّلاق حيث قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[٢]،

فالحاصل: أنّ القرآن الكريم قدُ نَمَّى الفرد المسلم وتعهّده بالرّعاية في جميع مراحل عمره؛ لكونه بذرة الخليّة الأولى للمجتمع، وحتى ينشأ الأولاد في جوّ من الحب والوئام والسكينة والإطمئنان؛ فينعموا ببرّهم للوالدين ويتمتعوا بالمسؤوليّة تجاه الأباء في كبرهم؛ وتكون هذه الأسرة نواة صالحة للمجتمع.

- **المقصد الرّابع- الأخوة الإنسانيّة:**

ولَمَّا نشأت الأسر المُسلمة وفق منهج الله تعالى؛ حرص القرآن على تقوية أواصر الأخوّة فيما بينهم؛ فدعاهم إلى الوحدة ونبذ الفرقة حيث قال: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾[٣]؛ فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، وفي الأمور الحسنة يكن عونًا له، قال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[٥].

إنّ معيار التفاضل في القرآن أساسه تقوى الله ﷻ؛ فلا ينظر القرآن إلى الجسد أواللون أو شيء من متاع الدّنيا الزّائل، وإنّما ينظر إلى العمل الصّالح والقلب الطّاهر؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا

---

(١) سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٢٨ .

(٢) سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٢٩ .

(٣) سورة آل عمران، من الآية رقم: ١٠٣ .

(٤) سورة الحجرات، من الآية رقم: ١٠ .

(٥) سورة المائدة، من الآية رقم: ٢ .

وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[١]؛ "فجميع النّاس في الشّرف بالنسبة الطينيّة إلى آدم وحواء سواء، وإنّما يتفاضلون بالأمور الدينيّة، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ﷺ؛ ولهذا ذكر الله تعالى هذه الآية بعد النّهي عن الغيبة واحتقار بعض النّاس بعضًا، منبّها على تساويهم في البشريّة"[٢]؛ "فالمؤمنون والمؤمنات بالله ورسوله بعضهم أنصار بعض، يأمرون النّاس بالإيمان والعمل الصالح، وينهونهم عن الكفر والمعاصي، ويؤدّون الصّلاة، ويعطون الزّكاة، ويطيعون الله ورسوله، وينتهون عما نُهوا عنه، أولئك سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنّته"[٣]؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[٤].

فالمجتمع في القرآن مأمور بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر وعدم التّنازع المؤدّي إلى الفشل، فإن حدثت مشكلة تؤدّي إلى الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد عالجها القرآن مباشرة بردّها إلى الله ورسوله حفاظًا على سياج المجتمع ووحدة أبنائه؛ قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[٥]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ

---

(١) سورة الحجرات، آية رقم: ١٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣٨٥/٧، بتصرّف.

(٣) التفسير الميسر لنخبة من أساتذة التفسير، ١٩٨/١، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف – السعودية.

(٤) سورة التّوبة، آية رقم: ٧١ .

(٥) سورة الأنفال، آية رقم: ٤٦ .

وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[١].

- **المقصد الخامس– تقويم المجتمع:**

ولم يقف القرآن عند هذا الحدّ في تنمية المجتمع المسلم؛ بل ربَّى العبيد والنَّشء الصّغير على حسن المعاملة والذّوق الرّفيع فيما يُعرَف في عالمنا المعاصر والمتأخّر في فهم هدْي القرآن بفن "الإتيكيت"؛ فنهى العبيد والأطفال الحرائر دون سنّ البلوغ من الدّخول على أهليهم في أوقات مخصوصة؛ لأنّها مظنّة كشف العورة والخلود إلى الراحة؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢]ومعنى الآية: "يا أيّها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه مُروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سنّ الاحتلام أن يستأذنوا عند الدّخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاث: من قبل صلاة الفجر؛ لأنّه وقت الخروج من ثياب النّوم ولبس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثّياب للقيلولة في الظّهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنّه وقت للنّوم، وهذه الأوقات الثّلاثة عورات لكم، يقل فيها التّستّر، أمّا فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدّخول عليكم، فهم طوّافون عليكم للخدمة، ولأنّ العادة جرت بتردّد بعضكم إلى بعض فيها لقضاء المصالح، كما بيَّن الله لكم أحكام الاستئذان يبيِّن لكم آياته

---

(١) سورة النّساء، آية رقم: ٥٩ .

(٢) سورة النّور، آية رقم: ٥٨ .

وأحكامه وحججه وشرائع دينه، والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم"[١].

ويستمرّ القرآن في وضع الآداب العامة للمجتمع المسلم؛ فنراه ينهى العامّة عن دخول البيوت بدون استئذان أصحابها والرّجوع عند عدم الإذن وعدم وجود أحد في البيت؛ فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[٢]، "وهذا أيضًا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدّخول، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف – لا سيّما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول ﷺ من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة، أو اجتماع لمشورة ونحو ذلك – أمرهم الله تعالى ألّا ينصرفوا عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته، وأنّ من يفعل ذلك فهو من المؤمنين الكاملين، ثمّ أمر رسوله ﷺ إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء"[٣]؛ فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٤].

---

(١) التفسير الميسّر، ٣٥٧/١ .

(٢) سورة النّور، آية رقم: ٢٧، ٢٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٨٨/٦، بتصرّف.

(٤) سورة النّور، آية رقم: ٦٢ .

- **المقصد السّادس- الحفاظ على المجتمع:**

إنّ من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة حفظ الضروريات الخمس، وهي حفظ الدّين، والنّفس، والعقل، والعرض، والمال؛ فمن أجلها كانت الأحكام الشّرعيّة الخمس – وهي: الفرض، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح –، وبسبب حفظها حُدَّت الحدود حفاظًا على المجتمع من اعتداء المعتدين وإثم الآثمين، يقول تعالى في محكم تنزيله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[١]، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "يقول تعالى: من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلمًا وعدوانًا شرعنا لبني اسرائيل وأعلمناهم أنّه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنّما قتل النّاس جميعًا ومن أحياها فكأنّما أحيا الناس جميعًا، فمن قتل نفسا بغير سبب من قصاص، أو فساد في الأرض واستحلّ قتلها بلا سبب ولا جناية فكأنّما قتل الناس جميعًا؛ لأنّه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن حرّم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم النّاس كلهم منه بهذا الاعتبار"[٢].

- **المقصد السّابع- التكافل الاجتماعي:**

إنّ القرآن قد حلّق في مجال التّنمية الاجتماعية، فدعانا إلى البذل والإنفاق مُبيِّنًا ما في ذلك من أجر عظيم وثواب عميم؛ فقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣]، وأرشدنا إلى الأخذ بيد الفقراء والمساكين وبخاصّة

---

(١) سورة المائدة، من الآية رقم: ٣٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٩٢/٣، بتصرّف.

(٣) سورة البقرة، آية رقم: ٢٦١ .

منهم الأعفّاء، وفكّ رقاب العبيد، وقضاء الدّين عن الغارمين، وتأليف قلب الجدد من المسلمين، وإعلاء كلمة الدّين؛ فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾[١]، وقال: ﴿ ۞ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

فالذي يُصدِّق بيوم الحساب والجزاء يُطعِم البائس المسكين، ويَحِنُّ على اليتيم، ويعطيه حقه كاملًا دون مماطلة أو تسويف أو زجر، والذي يُكذِّب بيوم الدِّين يفعل خلاف ذلك؛ لفساد قلبه عن الحق وسوء أخلاقه حيث قال تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[٣]، وبالجملة؛ فقد حثّنا القرآن على بذل العون لبعضنا البعض في كلّ خير حتى نكون كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضنا بعضًا؛ فينموا مجتمعنا ويزدهر، فقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ ﴾[٤].

فالحاصل إذن من هذا المطلب: أنّ القرآن الكريم قد نَمَّى المجتمع بتفحّصه وبنائه على العقيدة الصحيحة، وتعهّد الفرد المسلم في ذاته فأصلح نفسه

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٧٣ .

(٢) سورة التوبة، آية رقم: ٦٠ .

(٣) سورة الماعون، من آية رقم: ١-٣ .

(٤) سورة المائدة، من الآية رقم: ٢ .

وهَذَّب روحه وأخلاقه، وأسَّسَ لعلاقة وطيدة بينه وبين زوجه تمهيدًا لبناء أسرة مسلمة تُكوِّن مجتمعًا صالحًا قائمًا على الأخوّة الإنسانية المبنيّة على الاتّحاد والتّعاون فيما بينهم على البرّ والتّقوى، وطاعة الله ورسوله وأولي الأمر، وفق منهج الله تعالى في تقويم المجتمع وإشاعة الذّوق الرّفيع وحسن المعاملة فيه، والحفاظ عليه بحفظ دّينهم، ونفسهم، وعقلهم، وعرضهم، ومالهم، والتّكافل فيما بينهم بالبذل والإنفاق على المحتاجين، ورعاية الأيتام بحفظ حقوقهم والحنان عليهم، والحضّ على طعام المسكين، وسدّ الدّين عن الغارمين، والإنفاق على المسافرين المحتاجين حتى يصلوا إلى بلادهم آمنين مطمئنين..، وهذا هو محض التّنمية الاجتماعية، والله أعلم.

المطلب الرّابع: التّنمية الاقتصاديّة.

ويشتمل على أربعة مقاصد كما يلي:

- المقصد الأوّل- الاقتصاد والقرآن:

الإسلام دين ودنيا وآخرة وشريعة وعقيدة ودولة وعمل، يدعوا أتباعه أن يعملوا لآخرتهم كما يأمرهم أن لا يَنْسَوْا دنياهم مصداقًا لقول الله سبحانه: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾(١).

فالقرآن له فلسفة في الاقتصاد، وهذه الفلسفة تقوم على التّوازن بين متطلّبات الرّوح ومتطلّبات الجسد في كلّ شيء، ففي المشي يجب على المرء أن يكون مقتصدًا في مِشيته بعيدًا عن الكبر الذي يغضب الحقّ ﷻ حيث يقول: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(٢)، ويأت الأمر في القرآن لجماعة المسلمين بالاقتصاد في الأكل والشّرب فلا إسراف فيه ولا حرمان منه، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾(٣)، وفي العمل يدعونا القرآن إلى الاقتصاد فيه؛ فلا نقطاع عنه بدعوى العبادة، ولا انشغال دائم فيه بعيدًا عن التّزكية البدنيّة والروحيّة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(٤)، وفي الانفاق يكون الاقتصاد بعدم الإسراف فيه أو التّضييق في البذل والعطاء، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ

---

(١) سورة القصص، من الآية رقم: ٧٧ .

(٢) سورة لقمان، من الآية رقم: ١٨، ١٩ .

(٣) سورة الأعراف، من الآية رقم: ٣١ .

(٤) سورة الجمعة، من الآية رقم: ١٠ .

أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[١]، وفي الزّمن يكون الاقتصاد فيه بتقسيمه إلى فترتين مراعاةً للعامل، فترة النّهار حيث الكدّ والتّعب لتحصيل الرزق؛ لننفق فيه على النفس وعلى من نعول، وفترة الليل مظنّة السّكون والرّاحة؛ حيث يقول تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[٢]، وهذا قليل من كثير.. .

- **المقصد الثّاني– مقومات الاقتصاد في القرآن:**

جعل الله القرآن الكريم شِرعَة للنّاس ومنهاجًا يهتدون به في شتّى الميادين، ولِمَ لا والقرآن أوّل كتاب سماويّ يُخاطِب البشر بلسان الاقتصاد وأهله؛ فوضع أفكارًا ومعالجات اقتصاديّة لا زالت حتّى الآن تُشكِّل ركيزة من ركائز الفكر الاقتصادي الحديث.

فالمال في القرآن هو مال الله والخلق عيال عليه مُستخلَفِين في ماله؛ حيث يقول تعالى: ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[٣]؛ فيجب عليهم أن يتصرَّفوا فيه وفق إرادة الخالق ﷻ؛ لذلك شرَّع الحقّ ﷻ لهم جملة من المُعاملات من شأنها أن تُهذِّب أخلاقهم وتُنَمِّي مالهم؛ فكان البيع والشّراء وتحريم الرّبا، قال تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾[٤] ففي البيع والشّراء نفع للأفراد والجماعات، وفي الرِّبا استغلال لحاجات النّاس وضياع وهلاك للمُرَابِين، وفي هذا يقول الإمام الآلوسيّ في تفسيره: "هذه جملة مستأنفة من الله تعالى ردًّا عليهم وإنكارًا لتسويتهم،

---

(١) سورة الفرقان، الآية رقم: ٦٧ .

(٢) سورة النّبأ، الآية رقم: ١٠، ١١ .

(٣) سورة الحديد، الآية رقم: ٧ .

(٤) سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٧٥ .

وحاصله: أنّ ما ذكرتم قياس فاسد الوضع؛ لأنّه معارض للنّص فهو من عمل الشّيطان على أن بين البابين فرقًا، وهو أنّ مَنْ باع ثوبًا يساوي درهمًا بدرهمين فقد جعل الثّوب مقابلًا لدرهمين فلا شيء منهما إلَّا وهو في مقابله شيء من الثّوب، وأمّا إذا باع درهمًا بدرهمين فقد أخذ الدّرهم الزّائد بغير عوض ولا يمكن جعل الإمهال عوضًا؛ إذ الإمهال ليس بمال حتى يكون في مقابله المال"[١].

ويستمرّ القرآن في وضع أسُسٍ ودعائم يقوم عليها النِّظَام الاقتصاديّ في الإسلام؛ فتراه يُشَرِّع الإجارة وهي تعاقد على تحصيل منفعة مباحة ومعلومة بعوض من المال كالإرضاع مقابل الأجر[٢]؛ قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾[٣]، يقول الإمام الشّافعي في الأمّ: "وإذا جازت الإجارة على الإرضاع جازت على مثله وما هو في مثل معناه وأحرى أن يكون أبين منه، وقد ذكر الله ﷻ الإجارة في كتابه وعمل بها بعض أنبيائه – عليهم السلام – قال الله ﷻ: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[٤]، فقد ذكر الله ﷻ أنّ نبيًّا من أنبيائه عليه السلام آجر نفسه حِجَجًا مسمّاة ملَّكه بها بضع امرأة، فدلّ على تجويز الإجارة على أنّه لا بأس بها على الحِجَج – أي: على السّنين – إن كان على الحِجَج استأجره، وإن كان استأجره على غير حِجَج

(١) روح المعاني، ٤٩/٢ .

(٢) تحفة الحبيب على شرح الخطيب للعلامة البُجَيْرَمِيّ المصري الشّافعي (المتوفّى: ١٢٢١هـ)، ٢٠٦/٣، بنحوه، النّاشر: دار الفكر.

(٣) سورة الطّلاق، من الآية رقم: ٦ .

(٤) سورة القصص، آية رقم: ٢٦ .

فهو تجويز الإجارة بكلّ حال، وقد قيل: استأجره على أن يرعى له الماشية، والله تعالى أعلم"[١].

ويُشَرِّع الشّارع الحكيم المُضاربة وهي: "أن يدفع رجل ماله إلى آخر يُتْجِر له فيه على أنّ ما حصل من الرّبح بينهما حسب ما يشترطانه"[٢]، وأجاز بيع المرابحة: "وهو البيع برأس المال وربح معلوم، ويشترط علمهما برأس المال فيقول: رأس مالي فيه أو هو عليّ بمائة بعتك بها، وربح عشرة، فهذا جائز لا خلاف في صحّته، ولا نعلم فيه عند أحد كراهة"[٣]، وتأت الشّراكة: وهي عبارة عن مشاركة شخصين أو أكثر بأموال متساوية أو مختلفة على أن يكون الرّبح حسب المال أو حسب الاتّفاق، ويكون للشّركاء الحقّ في الإدارة إن رغبوا، يحَدِّثُنا عنها ابن قدامة في المغني؛ فيقول: "الشّركة: هي الاجتماع في استحقاق أو تصرّف، وهي ثابتة بالكتاب والإجماع؛ أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾[٤]، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾[٥]والخلطاء: هم الشّركاء، وأجمع المسلمون على جواز الشّركة في الجملة"[٦].

---

(١) الأمّ للإمام الشّافعي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، ٢٦/٤، بتصرّف، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٢) المغني لابن قدامة (المتوفى: ٦٢٠هـ)، ١٩/٥، النّاشر: مكتبة القاهرة.

(٣) المرجع السّابق، ١٢٦/٤ .

(٤) سورة النّساء، من الآية رقم: ١٢ .

(٥) سورة ص، من الآية رقم: ٢٤ .

(٦) المغني لابن قدامة، ٣/٥، بتصرّف.

فالحاصل إذن: أنّ المال مال الله، والعبيد عيال الله مستخلفين في ماله؛ فيجب عليهم أن يتصرَّفوا فيه وفق إرادة الخالق ﷻ وتشريعاته، ويعملوا على نمائه بعيدًا عن استغلال النّاس وحاجاتهم.

- **المقصد الثّالث– معوّقات التنمية الاقتصاديّة:**

ولم يقف القرآن – في حديثه عن الاقتصاد – عند هذا الحدّ من التّوفيق بين المادة والرّوح، وإرساء دعائمه؛ بل دعا إلى حياة اقتصاديّة تقوم على أسس تحفظ للإنسان كرامته، وتمنع استغلال حاجته، وتنسجم مع التّعاليم الإسلاميّة الرّاقية، والأخلاق الكريمة، والمثل الإنسانيّة؛ فحرّم مجموعة من المُحرّمات من شأنها أن تُعرقل مسيرة التّنمية الاقتصاديّة وتَنخر في بنيان المجتمع؛ فتراه يتحدّث عن الرّبا الذي هو: "إخراج المال في وجوه الاستغلال لحاجة المحتاج مع ضمان استرداده ومعه زيادة محرّمة"[١]، ويُحرِّمه بقوله: ﴿ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[٢]، ولم يُهْمِلْه ولو قليلًا؛ بل يتعهّد ما بقي من تعامل فيه ويدعو إلى تركه ابتغاء مرضات الله؛ فيقول في قرآنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣]؛ يقول العلّامة ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين بتقواه، ناهيًا لهم عمّا يُقَرّبهم إلى سخطه ويبعدهم عن رضاه، اتركوا ما بقي لكم على النّاس من الزّيادة على رؤوس الأموال، بعد هذا الإنذار ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بما شرع الله لكم من تحليل البيع، وتحريم الرّبا وغير ذلك"[٤]، ووضع بدلًا عن هذا المُحرّم معاملات تُنَمّي

---

(١) التّفسير الوسيط، ٦٣١/١ .

(٢) سورة البقرة، من الآية رقم: ٢٧٥ .

(٣) سورة البقرة، آية رقم: ٢٧٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٧١٦/١، بتصرّف.

المال وتمنع استغلال النّاس تقوم على المشاركة بين رأس المال والعمل في المشروعات الاقتصاديّة المختلفة كالبيع والإجارة والمرابحة والشّراكة، والمضاربة، وغير ذلك مِمَّا سبق الحديث عنه عمّا قريب مِمَّا يُغني عن الإعادة.

ونهى عن أكل أموال النّاس بأسباب باطلة كالرّشوة والغصب والسّرقة، والتّحايل على الحُكَّام بالرِّشوة، والقضاة باكتساب حكم يأخذ مال أخيه المسلم بشهادة باطلة، أو بيّنة كاذبة، أو رشوة خبيثة، فبئس ما يفعل ذلك وما يجرُّه على نفسه من سوء العاقبة في الآخرة حيث يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١] والمعنى: "ولا يأكل بعضكم مال بعض بسبب باطل كاليمين الكاذبة، والغصب، والسّرقة، والرّشوة، والرّبا ونحو ذلك، ولا تلقوا بالحجج الباطلة إلى الحكّام؛ لتأكلوا عن طريق التّخاصم أموال طائفة من النّاس بالباطل، وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم"[٢].

وأمرنا القرآن بوفاء الكيل والميزان فيما نبتاع أو نبيع للنّفس أو الغير وتحقيق العدل؛ فقال: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[٣] "فالجملة الكريمة أمر من الله- تعالى- لعباده بإقامة العدل في التّعامل بحيث يعطى صاحب الحقّ حقّه من غير نقصان ولا بخس، ويأخذ صاحب الحقّ حقّه من غير طلب الزّيادة، وهذه الوصيّة هي مبدأ العدل والتّعادل، وكلّ مجتمع محتاج إليها، فالنّاس لا بدّ لهم من التّعامل، ولا بدّ لهم من التّبادل، والكيل والوزن هما

---

(١) سورة البقرة، آية رقم: ١٨٨ .

(٢) التفسير الميسر، ٢٩/١ .

(٣) سورة الأنعام، من الآية رقم: ١٥٢ .

وسيلة ذلك، فلا بدّ من أن يكونا منضبطين بالقسط، والمجتمعات الأمينة التي لا تجد فيها أحدًا يغبن عن جهل أو غفلة، وهي أيضًا التي لا تجد فيها من يحاول أن يأخذ أكثر من حقه، أو يعطى أقلّ ممّا يجب عليه"[١].

ولأهمّية الأخلاق الاقتصاديّة وحفظ نظام المجتمع وتحقيق الإصلاح فيه بعث الله نبيّه شعيبًا عليه السلام إلى قبيلة مدْين يأمرهم بتحقيق العدل بوفاء الكيل والميزان فيما يبيعون أو يبتاعون للنّفس أو الغير وعدم نقصان حقوق النّاس، وذلك بعد أمرهم بعبادة الله الواحد مباشرة؛ فقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٢]، وقال عز وجل في آية أخرى: ﴿ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٣]أي: "قال لهم شعيب عليه السلام وقد كانوا يُنْقِصون الكيل والميزان: أَتِمُّوا الكيل للنّاس وافيًا لهم، ولا تكونوا مِمَّن يُنْقِصون النّاس حقوقهم، وَزِنوا بالميزان العدل المستقيم، ولا تُنقِصُوا النّاس شيئًا مِن حقوقهم في كيل أو وزن أو غير ذلك، ولا تكثروا في الأرض الفساد بالشّرك والقتل والنّهب وتخويف النّاس وارتكاب المعاصي"[٤].

ويُبيِّن القرآن في وضوح بأنّ تمام الكيل وإقامة العدل والميزان السويّ خير للمرء وأحسن عاقبة له في دينه ودنياه وأخراه؛ فيقول: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ

---

(١) التّفسير الوسيط، ٥/٢٢٠، بتصرّف.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم: ٨٥ .

(٣) سورة الشّعراء، من آية رقم: ١٨١-١٨٣ .

(٤) التّفسير الميسر، ١/٣٧٤ .

وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[١]، ويتوعّد الذين يُنقِصُون في الكيل والميزان إذا باعوا لغيرهم ويستوفونه إذا اشترَوْا لأنفسهم بعذاب شديد وواد في جنهم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل هذا الوادي من صديد، ويستحثّهم على ترك ذلك بتذكيرهم بيوم القيامة وما فيه من هول شديد، يوم يقوم العبيد لربّهم وقضائه وحكمه؛ فيقول: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

والنّاس بطبيعتهم غافلون عن كتاب ربّهم وتعاليم خالقهم وشِرْعة ربّهم؛ لذلك تعهّدهم الإسلام فوق ذلك بالرّقابة المباشرة على الأسواق من خلال نظام الحسبة والذي سبق الإسلام به كلّ النّظم والتشريعات والتي منها ما يُعرَف حديثًا بجهاز حماية المستهلك؛ فنرى خليفة رسول الله ﷺ عمر بن الخطّاب ﷺ يُعلي مكانة المرأة، ويثق بها، ويولّيها حسبة ورقابة السّوق؛ فجعل الشفاء بنت عبدالله القرشيّة العدويّة مُحتَسِبةً على السّوق مُدافعةً عن مصالح المجتمع[٣]، تأمر التّجّار بالمعروف في تجاراتهم وتنهاهم عن المنكر فيها ما استطاعت إلى ذلك سبيلًا؛ فراقبت الأسواق، وكشفت عن الغشّاشين، والمُحتكرين، والمُرَابين، وغيرهم من الذين يتلاعبون بمصالح النّاس، طمعًا في الرّبح دون رادع من

---

(١) سورة الإسراء، آية رقم: ٣٥ .

(٢) سورة المطفّفين، من آية رقم: ١-٦ .

(٣) يراجع ما جاء في ترجمة الشّفاء وتوليتها أمر الحسبة: تهذيب التّهذيب، للعلّامة بن حجر العسقلاني (المتوفّى: ٨٥٢هـ)، ٤٢٨/١٢، طبعة: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

ضمير أو دين؛ فكانت الحسبة في الإسلام هي السّلطة التي تقوم بدور المراقب وهي تمثل سلطة الدّولة في الدّفاع عن مصالح المجتمع.

فالحاصل إذن من هذه النقطة: أنّ الله تعالى في قرآنه دعا إلى حياة اقتصاديّة تقوم على أسس تحفظ للإنسان كرامته وتمنع استغلال حاجته، وتنسجم مع التّعاليم الإسلاميّة، والأخلاق الكريمة، والمثل الإنسانيّة؛ فحرّم ما من شأنه أن يَنْخر في بنيان المجتمع، ويعوق مسيرة تنميتة الاقتصاديّة ورخائه وتقدّمه.

- **المقصد الرّابع– منفعة المال للأفراد والمجتمع:**

إنّ المجتمع الذي يبحث عن تنمية اقتصاديّة بحتة بعيدًا عن حاجات النّاس وتحقيق وسائل العيش الكريم لهم لا يُمكن أبدًا أن يَرْقى إلى مدارج التّقدّم والتّنمية.

لذلك عمل الإسلام على كفالة الحدّ الأدنى واللائق في مستوى المعيشة للأفراد من خلال منظومة التكافل الشّرعيّه الواجبة والمحدّدة القيمة؛ فتراه يُشَرِّع زكاة الفطر في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[١]، وزكاة المال في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[٢]وتجب في النّعم، والذّهب والفضّة، وفي الزّروع والثّمار، وفي عروض التّجارة، والرّكاز، والمعدن على اختلاف في مقاديرها وزمان إخراجها، وهي زكاة يدفعها المُزكّي للمُستحقّين لها بنص الشّارع الحكيم في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ

(١) سورة الأعلى، آية رقم ١٤ .

(٢) سورة البقرة، آية رقم ٤٣ .

فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[١]، وجعل لله ولرسوله ﷺ ولذي القربى وفقراء المسلمين وأيتامهم والمساكين منهم ومن انقطع به السّبيل خمس الخمس مِمَّا يَغنُمه المسلمون من حروبهم؛ فقال ﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[٢]، وكذلك الفيء وهو ما يحصل عليه المسلمون من أموال إثر استسلام العدوّ كيهود بني قريظة وبني النّضير، وغيرهم، وفيه قال الله تعالى مُبيّنًا مواطن إخراجه: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾[٣]، يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "يُبَيِّنُ تعالى تفصيل ما شرعه مُخَصَّصًا لهذه الأمة الشّريفة، من بين سائر الأمم المتقدّمة، من إحلال المغانم وهي: المال المأخوذ من الكفّار بإيجاف الخيل والرّكاب، والفيء وهو: ما ما أخذ منهم بغير ذلك، كالأموال التي يصالحون عليها، أو يتوفّون عنها ولا وارث لهم، والجزية، والخراج، ونحو ذلك"[٤].

ولم يقف الإسلام عند هذا الحدّ من التّكافل الواجب بلسان الشّرع بين أفراد المجتمع؛ بل شرّع الزّكاة في "الأرض الخَراجيَّة: وهي أرض العَنْوَة التي فتحها الإمام قهرًا، وضرب عليها خراجًا، أو ما جلَا عنها أهلها خوفًا من المسلمين، أو ما صُولِحَ عليه الكفَّار"[٥]، وشرّع الجزية على غير المسلمين من الرّجال

---

(١) سورة التّوبة، آية رقم ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال، من الآية رقم ٤١ .

(٣) سورة الحشر، من الآية رقم ٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٩، بتصرّف يسير.

(٥) كتاب الأموال للقاسم بن سلّام المتوفّى (٢٢٤هـ)، ١١٥، ١١٦، بتصرّف واختصار، طبعة: دار الهدي النبوي – مصر، ودار الفضيلة – السّعوديّة، وكتاب: الأحكام السّلطانية

القادرين الأصحّاء دون النّساء والأطفال وكبار السنّ؛ للدّفاع عنهم، ورعاية مصالهم، وكفالتهم، وحفظ أرواحهم من أيّ اعتداء مقابل الزكوات عند المسلمين، فإذا دخلوا الإسلام أو دافعوا بجوار المسلمين عن وطنهم سقطت عنهم"[١]، وأوجب الإسلام الكفارات وهي: "اسم لأفعال مقصودة ومخصوصة طلبها الشّرع الحكيم من المكلّف عند ارتكابه مخالفة شرعيّة معيّنة؛ فيزول بها أثر ذلك الذّنب أو تلك المخالف"[٢]ككفّارة اليمين، والإفطار أو الجماع في نهار رمضان، والحلق في الحجّ، والظّهار، والقتل، وجميعها تكفير للمسلم عن ذنوبه من خلال صيام، أو صدقة، أو إطعام مسكين منفعةً للفرد والمجتمع.

ومن كفالة القرآن للمجتمع دعوته لتطوّع الأفراد حسب طاقتهم وإمكاناتهم وفق حاجات المجتمع، كالإنفاق من طيّب المال على الفقراء والمساكين وذوي الحاجة من المسلمين، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٣]"فامتدح الله المتّقين؛ لأنّهم يتصدّقون في وجوه الخير، ويَمدُّون أيديهم بالإحسان إلى الفقير والمسكين؛ مِمَّا أعطاهم الله من مال طيّب"[٤]، وبيّن أنّ الخير كلّ الخير في إعطاء المال للفقراء والمساكين.. مع حبّه وشدّة التعلّق به؛ فقال: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

للفراء (المتوفى : ٤٥٨هـ)، ١٦١، ١٦٢، بتصرّف واختصار، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

(١) الأحكام السّلطانيّة، ١٥٣-١٥٥، بتصرّف واختصار.

(٢) الكفّارات في الفقه الإسلامي للدّكتور/ رجاء بن عابد المطرفي، ص٢٨،٢٧، بتصرّف واختصار، طبعة: المدينة المنوّرة: مكتبة الملك فهد الوطنية.

(٣) سورة البقرة، آية رقم ٢، ٣ .

(٤) التّفسير الوسيط، ١/٤٤، بتصرّف.

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[١]"فالذي ينفق في سبيل الله في الدّنيا محتسبًا في نفقته، مبتغيًا ما عند الله، وذلك هو القرض الحسن؛ فيضاعف له ربّه قرضه ذلك الذي أقرضه بإنفاقه في سبيله، فيجعل له بالواحدة سبع مائة وله ثواب وجزاء كريم في الجنّة"[٢]حيث يقول تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٣]، وبإنفاقه هذا يُنَمِّي الحقّ ﷻ له ماله ويعوّضه له في الدّنيا بالبدل وفي الآخرة بالثّواب الجزيل ومصداق ذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾[٤]، وقال: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٥]"والمعنى: مثل صدقة الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله كمثل حبّة أُلقِيَت في أرض طيّبة أصابها الغيث؛ فخرجت الحبّة على هيئة زرع قويّ جميل فأنبتت في الوقت المناسب لإنباتها سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة.

فأنت ترى أنّ الخالق ﷻ قد شبّه حال الصّدقة التي ببذلها المؤمن في سبيل الله فيكافئه الله – تعالى– عليها بالثّواب العظيم، بحال الحبّة التي تُلقَى في الأرض النقيّة فتخرج عودًا مستويًا قائمًا قد تشعّب إلى سبع شعب، في كلّ شعبة سنبلة، وفي كلّ سنبلة مائة حبّة، وفي هذا التّشبيه ما فيه من الحضّ

---

(١) سورة البقرة، من الآية رقم ١٧٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم، ١٧٧/٢٣، ١٧٨ .

(٣) سورة الحديد، آية رقم ١٧ .

(٤) سورة سبأ، من الآية رقم:٣٩ .

(٥) سورة البقرة، آية رقم:٢٦١ .

على الإنفاق في وجوه الخير، ومن التّرغيب في فعل البرّ ولا سيّما النّفقة في الجهاد في سبيل الله"[١].

فحاصل هذا المطلب: أن فلسفة الاقتصاد في القرآن تقوم على الموازنة بين متطلّبات أرواح الخلق وأجسادهم، ودنياهم وآخرتهم، وعلى أنّ المال مال الله، والعبيد عيال الله مستخلفين في ماله؛ فيجب عليهم أن يتصرَّفوا فيه وفق إرادة الخالق ﷻ وتشريعاته، ويعملوا على نمائه وفق أسس تحفظ للإنسان كرامته وتمنع استغلال حاجته، وتنسجم مع التّعاليم الإسلاميّة الراقية، والأخلاق الكريمة، والمثل الإنسانيّة في إيجاب بذل المال والتصدّق به في أوجه التّكافل الاجتماعي من خلال الزّكوات، ونفقة الأفراد به حسب طاقتهم وإمكاناتهم وفق حاجات المجتمع.

(١) التّفسير الوسيط، ٦٠٣/١ .

المطلب الخامس: التّنمية البشريّة.

ويشتمل على أربعة مقاصد كما يلي:

- المقصد الأوّل- الإنسان ميدان التنمية البشريّة:

تُقِرُّ الجمعية العموميّة للأمُم المُتَّحدة: "بأنَّ الإنسان هو الموضوع المحوري لسيرورة التّنمية، وأنَّ السّياسات التّنموية يجب أن تجعل من الكائن الإنساني المُشارك الأساسيّ في عملية التّنمية، والمُستفيد الأوّل منها، وتُقِرُّ بأنَّ إيجاد الشّروط المساعدة على تنمية الشّعوب والأفراد، هو المسؤولية الأولى للحكومات، كما أنَّها تُدرك أنَّ الجهود العالميّة المبذولة من أجل تطوير الالتزام بحقوق الإنسان، والدّفاع عنها، لابُدَّ أن تتلازم مع جهود مماثلة من أجل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد"(١).

والقرآن ليس ببعيد عن طرح الأمم المتأخّرة في فهم هدْي القرآن وبخاصة الإسلاميّة منها؛ بل هو الدّاعي لأن يكون الإنسان هو محور التّنمية بجميع جوانبها المختلفة؛ فما أُرسِلَت الرّسل ولا نزلت الكتب إلّا من أجل الإنسان وهدايته إلى ما يُسْعِدُه في الدّارين؛ فالإنسان هو أصل الكون؛ لذلك جعله الله دون غيره خليفة له "في عمارة الأرض، وسياسة النّاس، وتكميل نفوسهم، وإجراء أحكامه عليهم، وتنفيذ أوامره فيهم"(٢)؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، وقال ﷻ: ﴿هُوَ

---

(١) خرافات التّنمية البشريّة، د/ عمّار عبد الغني، ص ١٤٦، الناشر: مجموعة النيل العربيّة، ٢٠١٧م.

(٢) التّفسير الوسيط، ٩٢/١ .

(٣) سورة البقرة، آية رقم:٣٠ .

أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[١]"فهو المنشئ لخلقكم منها، والمُمِدّ لكم بأسباب العمران والنّعم فى الأرض"[٢].

وقد قامت شريعة الله في أرضه على حفظ أصول الإنسان الخمسة وهي حفظ دينه ونفسه وعقله وماله ونسله من كلّ سوء؛ فكان الحَلُّ والتّحريم والكراهة والنّدب والإباحة وفقا للمساس بهذ الإنسان؛ فحرم الله سفك دم هذا الإنسان وجعل قتله بغير حقّ بمنزلة قتل الجميع في استجلاب غضب الله وعذابه، وصون حياته بمنزلة إحياء الجميع؛ فقال في محكم تنزيله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[٣]، وجعل حبيبه ﷺ زوال هذه الدّنيا وما عليها أهون على الله تعالى من قتله؛ لأنّه موضوع هذه الدّنيا فإذا ذهب موضوعها فلا يبقى لوجودها فائدة؛ فقال

(١) سورة هود، من الآية رقم:٦١ .

(٢) تفسير المراغي، ٥٣/١٢، بتصرّف يسير.

(٣) سورة المائدة، آية رقم:٣٢ .

ﷺ: "لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ"(١)؛ " فـ"كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ"(٢).

فالحاصل إذن: أنّ الإنسان أصل التّنمية وموضوعها فلا تنمية بدونه؛ لذا كان محور اهتمام القرآن؛ قامت الدّنيا من أجله، وعملت الشّريعة على صونه.

- **المقصد الثّاني- التكريم الخَلْقِي للإنسان:**

ولَمَّا كان الإنسان هو محور التّنمية وموضوعها؛ فقد أعده الخالق سبحانه وتعالى في خِلْقَتِه كي يقوم بإعمار الأرض وتحقيق التّنمية فيها؛ فَخَلَقَه على يديه بلا واسطة تشريفًا وتكريمًا لهذا الإنسان وأشار إلى ذلك في القرآن؛ فقال: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾(٣) ، "وجعله في أحسن صورة وأعدل قامة وأحسن هيئة"(٤)؛ فقال: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ ﴾(٥)، وعَلَّمه دون غيره أسماء الأشياء كلها؛ فقال: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه من حديث البراء بن عازب ﷺ، أبواب الديات، باب التّغليظ في قتل مسلم ظلمًا، ورقمه: ٢٦١٩، ٦٣٩/٣، وقال محقّقه: حسن لغيره. (سنن ابن ماجه "المتوفّى: ٢٧٣هـ"، تحقيق الشّيخ: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، طبعة: دار الرّسالة العالميّة).

(٢) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب البرّ والصّلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، ورقمه: ٢٥٦٤، ١٩٨٦/٤ .

(٣) سورة ص، آية رقم:٧٥ .

(٤) جامع البيان، ٥٠٨/٢٤، بتصرّف.

(٥) سورة التّين، آية رقم:٤ .

صَٰدِقِينَ ﴾[١]، واسجَد له ملائكته؛ فقال في محكم تنزيله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢]، "وكرَّمه بالعقل وإرسال الرّسل، وسَخَّر له جميع ما في الكون من دوابّ في البرّ وسفن في البحر لحمله، ورزقه من طيّبات المطاعم والمشارب، وفضَّله على كثير من المخلوقات تفضيلًا عظيمًا"[٣]؛ فقال: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[٤] ولهذا كلّه بارك الحقّ ﷻ نفسه في هذا الخلق الممتاز؛ فقال: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[٥].

فالحاصل إذن: أنّ الحقّ ﷻ خلق الإنسان على يديه، وكرّمه على كثير من خلقه؛ كي يكون مُؤَهَّلًا لإعمار الأرض، وتحقيق التّنمية الشّاملة فيها.

- **المقصد الثّالث- حَملُه الولاية الإلهيّة وتزكية نفسه:**

ولم يخلق الله تعالى الإنسان بهذا الخلق الممتاز سُدًى؛ بل أنشأ نفسه وعدّلها من صباه إلى شيخوخته و"منحه القوى الكثيرة المتنوّعة التي تُوصِّلُه إلى حسن المعرفة، والتّمييز بين الخير والشرّ، والنَّفع والضرّ، والهُدى والضَّلال، والتي عن طريقها يُدرِك الأمور إدراكًا واضحًا، ويختار منها ما يناسب

(١) سورة البقرة، آية رقم:٣١ .

(٢) سورة البقرة، آية رقم:٣٤ .

(٣) التفسير الميسّر، ٢٨٩/١، بتصرّف.

(٤) سورة الإسراء، آية رقم:٧٠ .

(٥) سورة المؤمنون، من الآية رقم:١٤ .

استعداده"[١]؛ فقال في كتابه الكريم: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [٢].

ولكمال خِلْقَته وتمام نفسه؛ أودعه ربّنا تبارك وتعالى أمانة التّكليف في الدّين والدّنيا؛ فقال: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٣] ، ومعنى الآية: "إنا عرضنا الأمانة التي ائتمن الله عليها المكلَّفين من أمانات الدّنيا والدّين، وامتثال الأوامر واجتناب النّواهي على السّموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنّه كان شديد الظّلم والجهل لنفسه"[٤].

- **المقصد الرّابع- إعماره الأرض والحفاظ عليها للأجيال اللاحقة:**

إنّ الانسان هو الفاعل الأوّل والاخير في هذا الكون خاصّة إذا ما ادركنا أنّ الكون كلّه من شمس وقمر ونجوم وماء ودابّة وشجر ونبات وأنهار وغيرها موجود لخدمة الانسان ومسخّر له، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٥]، وغاية الله ﷻ من هذا التسخير والتّذليل هي عمارة الكون وبناءه وتشييده؛ قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٦]، ويعيب الله على المشركين عدم اتعاظهم بمآل غيرهم

---

(١) التفسير الوسيط، ٤١٢/١٥، بتصرّف.

(٢) سورة الشّمس، من الآية رقم:٧-١٠ .

(٣) سورة الأحزاب، آية رقم:٧٢ .

(٤) جامع البيان، ٣٤٢/٢٠، والتفسير الميسّر، ٤٢٧/١، بتصرّف.

(٥) سورة الجاثية، آية رقم:١٣ .

(٦) سورة هود، من الآية رقم:٦١ .

من المكذّبين برسلهم كقوم عاد وثمود الذين أهلكهم الحقّ ﷻ مع كونهم حرثوا الأرض واستخرجوا ما فيها من معادن ومياه وزروع وعمروها أكثر ممّا عمّرها أهل مكّة؛ فبنوا القصور وشيّدوها وسكنوها؛ فيقول ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١]، وسلفنا الصّالح ﷺ أُثِر عنهم هذا الفهم الواعي لمزيّة خلق الإنسان وتسخير ما في الكون لخدمته؛ ليَعْمُر الأرض بالخير؛ فالصحابيّ الجليل عليّ بن أبى طالب – كرم الله وجهه ورضي عنه – يُخَاطِب واليه على مصر "مالك بن الأشتر" قائلًا له: "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب خَرَاجِها؛ لأنّ ذلك لا يُدْرَك إلّا بالعمارة، ومن طلب الخَرَاج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلًا"[٢]؛ فالحاصل: أنّه ﷺ قال لواليه: اهتمّ أولًا بعمارة الأرض، وإصلاحها، قبل أن تنظر في الخَرَاج الذي يأتي منها؛ لأنّه إذا لم تكن صالحة للزّراعة عن طريق العمارة فلن تأتي بخراج؛ فالوالي الذي يضع نظره على الخراج فقط ويريد أن يأخذه دون أن ينظر إلى هذه الأرض التي تأتينا بالخراج فإن سياسته سوف تؤدّي إلى خراب الدّيار.

فالملاحظ: أنّه ﷺ استعمل لفظ العمارة للدّلالة على معنى أعمق للتّنمية البشريّة بمفهومها المُعاصر وهي عمارة الأرض بالخير.

إنّ قيمة الإنسان وكرامته تكمن في عمارته للأرض وعدم الإفساد فيها وإهدار مواردها حتى يُبقِيها لِمَن يأتي بعده لينتفع بها كما انتفع حيث يقول

---

(١) سورة الروم، آية رقم:٩ .

(٢) كتاب السّياسة الشّرعية، ١/١٢٥، بتصرّف، طبعة: جامعة المدينة العالميّة.

الحقّ ﷻ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[١]، وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٢]. . .

فالخطاب في آيات تسخير السّموات والأرض وعمارة الأرض وعدم الإفساد فيها جاء عامًّا؛ ليدلّ على الاستمرار والديمومة في عمارة الأرض والحفاظ على ما فيها من موارد وتنميتها؛ ليستفيد الخلق بها أجمعين جيلًا بعد جيل، وهو الغاية من استخلاف الله للإنسان في الأرض وتمكينه عليها.

فحاصل هذا المطلب: أنّ الإنسان هو محور التّنمية بكلّ جوانبها وغايتها؛ لذلك خلقه الله على يديه وكرّمه، وأودعه ربّنا – تبارك وتعالى – دون غيره أمانة التّكليف في الدّين والدّنيا، وسخّر له جميع ما في الكون؛ ليعمره بالخير، ويحافظ عليه للأجيال اللاحقة؛ فالإنسان مع السموات والأرض بمنزلة الأسرة الكبيرة وسعادته في الدّارين مرتبطته بتعاطيه مع أفرادها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرّ، وهو ما أقرّه أهل الاقتصاد في قاعدتهم المشهورة: بـ "أنّ الإنسان هو وسيلة التّنمية وغايتها"[٣]، وما أقرّته الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة إذ تقول: "الإنسان المُشارك الأساسيّ في عملية التّنمية، والمُستفيد الأوّل منها"[٤]، وتلكم هي: "الرّؤية الجديدة للبرنامج الإنمائي للأمم المتّحدة في تقرير التّنمية البشريّة لعام: ١٩٩٣م، والتي تضع الإنسان في أولويّة أهدافها، وتصنع

---

(١) سورة الأعراف، من الآية رقم:٥٦ .

(٢) سورة هود، من الآية رقم:٨٥ .

(٣) التّنمية من مفهوم تنمية الاقتصاد إلى مفهوم تنمية البشر، للمؤلّفَيْن: رحالي حجيلة، وبوخالفة رفيقة، ص٢، ٢٠١٦م.

(٤) التّنمية البشريّة: مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، التّنمية البشريّة في الوطن العربي، للمؤلّف: جورج القصيفي، ص٨٦، مركز دراسات الوحدة العربيّة ١٩٩٥م.

التّنمية من أجله؛ لذا عرفوا التّنمية البشريّة بأنّها: "تنمية النَّاس بالنَّاس من أجل النَّاس"(١).

(١) التّنمية البشريّة المستدامة وبناء مجتمع المعرفة، للدكتور: حسين أحمد دخيل السّرحان، ص١٤١، بتصرّف، النّاشر: كلية القانون، مجلة أهل البيت – عليهم السّلام – العدد ١٦ .

المبحث الثّالث: العمل هو سَبِيل تحقيق التّنمية الشّاملة.

ويشتمل على ستّة مطالب:

المطلب الأوّل- العمل عبادة.

الإسلام دين ودنيا وشريعة وعقيدة ودولة وعمل يأمر أتباعه أن يعملوا لآخرتهم كما يأمرهم بأن لا يَنْسَوا دنياهم تحقيقًا لقول الله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[١]، وتأسيسًا على هذه القاعدة كان لزامًا على المسلم أن يعمل في صبر وفي كفاح حتى يحقّق لنفسه ولمن يعول حياةً كريمة وأسرة سعيدة يهنأ بها في دنياه في حدود ما شرعه له ربّ العالمين، وأن يتخذ دنياه مزرعته للآخرة ومعبرًا إليها.

والعمل في القرآن جاء مرتبطًا بالإيمان فلا عمل بلا إيمان ولا إيمان بلا عمل؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[٢]، وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[٤]، وقال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ

---

(١) سورة القصص، آية رقم:٧٧ .

(٢) سورة النّساء، آية رقم:١٢٤ .

(٣) سورة النّحل، آية رقم:٩٧ .

(٤) سورة طه، آية رقم:١١٢ .

كَٰتِبُونَ ﴾[١]، وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢].

واكتساب الرزق من العمل هو وسيلة لبقاء البدن؛ كي يؤدي الإنسان الغاية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله الواحد؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]، فالعمل وسيلة لقضاء الدّيون، وآداء الحقوق، والنفقة على من نعول وهو أمر واجب شرعًا وطاعة وقربة لله تبارك وتعالى حيث يقول في قرآنه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٤]أي: "لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال على امرأته البائنة في أجر رضاع ولده منها، وعلى ولده الصغير، ومن ضُيِّق عليه رزقه فلم يُوَسَّع عليه، فلينفق ممّا أعطاه الله على قدر ماله، وما أعطى منه، لا يُكلِّف الله أحدًا من النّفقة على من تلزمه نفقته بالقرابة والرحم إلا ما أعطاه، إن كان ذا سعة فمن سعته، وإن كان مقدورًا عن رزقه فممّا رزقه الله على قدر طاقته سيجعل الله من بعد الشدّة رخاء، ومن بعد الضّيق سعة، ومن بعد الفقر غنى"[٥].

ورسول الله ﷺ قد بيّن في أحاديثه الشّريفة أنّ العمل المباح لتحصيل الرّزق، متى قُصِد به طاعة الله تحوّل إلى قربة وعبادة يُثاب عليها صاحبها، ومن ذلك ما رواه الإمام الطّبراني من حديث كعب بن عُجْرَةَ ﷺ قال: "مَرَّ عَلَى

---

(١) سورة الأنبياء، آية رقم:٩٤ .

(٢) سورة غافر، آية رقم:٤٠ .

(٣) سورة الذّاريات، آية رقم:٥٦ .

(٤) سورة الطّلاق، آية رقم:٧ .

(٥) جامع البيان، ٢٣/٤٦٢-٤٦٤، بتصرّف.

النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ ونَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ"[١]

فقد بيّن الحديث الشّريف أنّ المكلف متى خرج يسعى على ولده صغارًا، أو يسعى على أبوين شيخين كبيرين فيما يقيم به أوَدهم فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفّها عن المسألة للنّاس أو عن أكل الحرام، فهو أيضًا في سبيل الله وهو مثاب مأجور والخروج فيه كالخروج للجهاد، وإن كان خرج يسعى لا لواجب أو مندوب بل رياء ومفاخرة بين النّاس فهو في سبيل الشّيطان.

المطلب الثّاني- بالعمل تَعْمُر الأرض ويُكْسَب الرّزق:

إنّ ديننا دين العمل يحثّ إليه ويدعو له، ويكره البطالة ويحذّر منها فقرآننا دعانا إلى العمل وبيّن أنّ أصل خلقتنا من الأرض كي نكون عمارًا لها غير مفسدين فيها؛ فقال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[٢]، وهذه آية أخرى يَعِيب الله على المشركين عدم اتعاظهم بمآل غيرهم من المكذّبين برسلهم كقوم عاد وثمود الذين أهلكهم الحقّ ﷻ مع كونهم حرثوا الأرض واستخرجوا ما

---

(١) أخرجه الإمام الطّبراني في معجمه الأوسط من حديث كعب بن عُجْرَةَ ﷺ، باب الميم، فيمن اسمه محمّد، ٥٦/٧، ورقمه: ٦٨٣٥، وصححه الشّيخ الألباني في صحيح التّرغيب والتّرهيب، ٣٠٦/٢، ورقمه: ١٦٩٢ . يراجع: المعجم الأوسط للعلامة: الطّبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، وصَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب للشّيخ: الألباني، طبعة: مكتبَة المَعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض – المملكة العربيّة السّعودية.

(٢) سورة هود، من الآية رقم:٦١ .

فيها من معادن ومياه وزروع وعمروها أكثر ممّا عمّرها أهل مكّة؛ فبنوا القصور وشيّدوها وسكنوها؛ فيقول ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾[١]، وحذّرنا ربّنا من الإفساد فيها وإهلاك مواردها ومصادرها حتى نبقيها صالحة للأجيال اللاحقة؛ فقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾[٢]، وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٣].. .

ولكي يتمكن المرء من العيش وكسب الرزق لا بدّ وأن يتخذ من العمل وسيلة للكفاف وتسخيرًا لخدمة البشريّة وتطوّرها في كلّ المجالات؛ حتى يقضي حوائجه، ويتغلّب على الظّروف الصّعبة التي قد تواجهه، وخاصةً في الوقت الحاضر؛ فسلفنا الصالح – عليهم رضوان الله – لم يبنوا حضارتهم الإنسانيّة الكبيرة إلاّ بقدر جدّهم واجتهادهم وإخلاصهم في العمل، وما حصل التّراجع والتأخّر للمسلمين في عصرنا الحاضر إلّا لإهمالهم العمل وقعودهم عنه، فهذا هو "لقمان الحكيم يقول لابنه: يا بنيّ استغن بالكسب الحلال عن الفقر؛ فإنّه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال: رقّة في دينه، وضعف في عقله، وذهاب مروءته، وأعظم من هذه الثّلاث: استخفاف النّاس به، ويقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: لَا يَقْعُدُ أحدكم عن طلب الرّزق يقول اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي فَقَدْ

---

(١) سورة الرّوم، آية رقم:٩ .

(٢) سورة الأعراف، من الآية رقم:٥٦ .

(٣) سورة هود، من الآية رقم:٨٥ .

عَلِمْتُمْ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تمطر ذهبًا ولا فضةً"[١]، ويقول أيضًا ﷺ: "إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول هل له حرفة؟ فإن قالوا لا سقط من عيني"[٢].

إنّ القرآن الكريم يحثّ على العمل ويحارب القعوس عنه؛ بل جعله من أسباب الثّواب والسّعادة في الدّنيا والآخرة في غير آية في القرآن؛ فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، وبيّن لنا أنّه يسّر لنا سُبُل العيش على هذه الأرض وجعلها مطوّعة سهلة وممهّدة كي نسعى ونجدّ ونطوي نواحيها وجوانبها طلبًا للرّزق والمكاسب؛ فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[٣]، فما منح الله القوّة للإنسان في الأرض ووهب له وسائل العيش فيها إلّا للانتفاع بها وشكر المُنعِم على النِّعم بتذليل مصادرها في خدمة الفرد والجماعة وتطوّر البشريّة وقيام الحضارة الربّانية على الأرض؛ حيث يقول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾[٤].

المطلب الثّالث- العمل سبيلٌ للأنبياء والمرسلين:

إنّ أنبياء الله – عليهم رضوان من الله – مع علوّ قدرهم، وعظيم مهمّتهم في تبليغ رسالات الله للنّاس إلّا أنّهم كانوا عاملين وأصحاب صنائع مختلفة؛

---

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (المتوفّى: ٥٠٥هـ)، ٦٢/٢، طبعة: دار المعرفة – بيروت.

(٢) غريب الحديث لأبي الفرج الجوزي (المتوفّى: ٥٩٧هـ)، ٢٠٥/١، طبعة: دار الكتب العلميّة – بيروت – لبنان.

(٣) سورة الملك، آية رقم:١٥ .

(٤) سورة الأعراف، آية رقم:١٠ .

فلم تقعدهم مهمّتهم الجسيمة عن إعمار الأرض بالعمل، وإغناء أنفسهم من الفقر والعوز والحاجة؛ فعلّموا البشر المسؤوليّة تجاه أسرهم ومجتمعهم؛ لذلك وجدناهم قد امتهنوا مهنًا مختلفة فقد كان سيّدنا "آدم عليه السلام يعمل في مهنة الفلاحة وتساعده زوجته السيّدة حواء في جميعِ الأعمال التي تتطلّبها مهنة الزراعة، ويصنع كذلك المعدّات التي تعينه على ذلك"(١)، "وكان إدريس عليه السلام أوّل من خطّ بالقلم، وأوّل من خاط الثّياب"(٢)، ونوح عليه السلام كان نجّارًا يصنع الفلك؛ لينجّيه ومن معه من المؤمنين من الطّوفان بأمر الله حيث يقول تعالى في حقّه: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ٣٧ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾(٣).

وكان خليلُ الله إبراهيم عليه السلام بنّاءً، فهو الذي بنى الكعبة – البيت الحرام – وعاونه في عملية البناء ولده إسماعيل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(٤).

وأراد ملك مصر حين ظهرت براءة سيّدنا يوسف أن يجعله مستشارًا عنده ذا مكانة رفيعة؛ فأبى إلّا أن يعمل وينفع البلاد والعباد ويقيم العدل بينهم، ويحقّق رغد العيش لهم، وينجّيهم من القحط والجوع لسنوات؛ فقال تعالى في شأنه: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي

(١) كنز الدّرر وجامع الغرر، لأبي بكر بن عبد الله الدواداري، ٦٣/٢، بتصرّف، طبعة: عيسى البابي الحلبي.

(٢) المرجع السّابق، ٦٦/٢ .

(٣) سورة هود، آية رقم: ٣٧، ٣٨ .

(٤) سورة البقرة، آية رقم:١٢٧ .

عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [١]، وسيّدنا موسى عليه السلام اشتغل أجيرًا عند سيّدنا شعيب عليه السلام في مهنة رعي الغنم لمدّة ثماني سنوات أو عشر سنوات – على سبيل المهر – كي يعفّ نفسه بالزّواج من إحدى بناته، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ [٢]، وقال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ [٣].

وقد كان داود عليه السلام يعمل في مهنة الحدادة مع كونها مهنة شاقة تتطلّب مزيدًا من العمل والجهد، ويصنع الدّروع حيث يقول تعالى في شأنه: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [٤]، وقال: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [٥]، وذكر رسولنا الكريم –

---

(١) سورة يوسف، آية رقم: ٥٤، ٥٥ .

(٢) سورة القصص، من آية رقم: ٢٦–٢٨ .

(٣) سورة طه، آية رقم: ١٧، ١٨ .

(٤) سورة سبأ، آية رقم: ١٠، ١١ .

(٥) سورة الأنبياء، آية رقم: ٨٠ .

عليه الصلاة والسلام – أنّ سيدنا زكريا عليه السلام كان نجارًا[١]، وكان سيّدنا عيسى عليه السلام طبيبًا يُعِيد الإبصار إلى من وُلِد أعمى، ويُعِيد الشّفاء إلى من أُصِيب بمرض البرص[٢]؛ فقال تعالى في حقّه: ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣].

وسيّدنا محمّد ﷺ عمل في رعي الغنم وكان يذكر ذلك في غبطة وسرور؛ فيقول – عليه الصلاة والسّلام –: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ"[٤]؛ فاستفاد ﷺ من هذه المهنة، ومن حياة الصّحراء: صحّة البَدن، ومتانة الخَلْق، وتعلُّم الصّبر، وقوَّة الاحتمال والرأفة، والعطف على الضعيف، وحُسن السياسة، والنظر فيما حولَه بعَين التأمّل والتدبّر، وهو ما انعكس إيجابًا عليه في سياسة النّاس عند تبليغ الرّسالة، وتعلّم أيضًا – عليه الصلاة والسّلام – مهنة التّجارة عن طريق السّفر مع عمّه أبي طالب في رحلتي الشتاء والصّيف؛ فتاجر بعدها في مال زوجه السيّدة خديجة – رضي الله عنها – على قراريط من المال كما هو معروف.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريّا عليه السلام، ١٨٤٧/٤، ورقمه: ١٦٩، بلفظ: "كان زكرياء نجارًا".

(٢) البرص: بياض يقع في الجلد. (الصّحاح، ٣١١/١).

(٣) سورة آل عمران، آية رقم: ٤٩ .

(٤) أخرجه الإمام البخاريّ في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ٨٨/٣، ورقمه: ٢٢٦٢ .

قلت: وهم في ذلك يطبقون أمر الحقّ ﷻ لهم بأن يتّخذوا من العمل وسيلة لأكل طيّب الطعام، قال تعالى في حقّهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[١].

وسلفنا الصالح – رضوان الله عليهم – ساروا على هدْي الأنبياء في طلب العمل دون كلل أو ملل، فلم يتواكلوا أو يتكاسلوا يومًا عن العمل؛ ليكفوا أنفسهم، ويرتقوا بمجتمعهم، ويقيموا حضارتهم؛ فامتهن جمع منهم "مهنة التّجارة كأبي بكر الصّديق، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسويد بن قيس العبدي، وعبد الرحمن بن عوف – ﷺ أجمعين –"[٢].

"وامتهن الزبير بن العوام، وعمرو بن العاص، وعامر بن كريز ﷺ – أجمعين – مهنة النّساجة"[٣]، "وكان عليًّا – كرم الله تعالى وجهه – يعمل في الزّراعة"[٤]، "وعمل عمر بن الخطّاب، والزّبير بن العوّام – رضي الله عنهما –

(١) سورة المؤمنون، آية رقم: ٥١ .

(٢) التّراتيب الإدارية والعمالات والصّناعات والمتاجر والحالة العلميّة التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلاميّة في المدينة المنوّرة العلميّة، للعلامة/ محمّد عَبْد الحَيّ الكتّاني (المتوفّى: ١٣٨٢هـ)، ٢/٢٥، ٢٦، النّاشر: دار الأرقم – بيروت.

(٣) المرجع السّابق، ٢/٤٣، بتصرّف

(٤) المرجع الأسبق، ٢/٦٨، بتصرّف

في التّجارة"[١]، "وعثمان بن طلحة ﷺ في الخياطة"[٢]، "والحارث بن صبيرة ﷺ في الدّباغة يدبغ الجلود"[٣].. .

المطلب الرّابع- العمل مطلوب بغضّ النّظر عن نوعه:

وإذا كان العمل في القرآن عبادة، ووسيلة لإعمار الأرض، وكسب الرّزق، وسبيلٌ للأنبياء والمرسلين، وسلفنا الصّالح في كلّ حين؛ فإن القرآن يدعونا إلى العمل العام بغضّ النّظر عن نوعه؛ فلم يستعب أيّ نوع من العمل الشّريف ما دام حلالًا طيّبًا؛ فنوّه إلى صناعة اللباس في قوله ﷻ: ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٤]"أي: ومن أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، تتّخذون لأنفسكم أثاثًا كثيرا تستعملونه في مصالحكم المتنوّعة، كما تتّخذون من ذلك ما تتمتّعون به في بيوتكم وفي معاشكم إلى وقت معيّن قدّره الله- تعالى- لكم في تمتّعكم بهذه الأصواف والأوبار والأشعار"[٥]، وأشار إلى صناعة السّفن؛ فقال ﷻ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[٦]، وسمّى سورة في القرآن بسورة الحديد، وذكر فيها مادة الحديد التي لها دور هام اليوم في مجال الصّناعة بوجه عام؛ فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ

---

(١) تخريج الدّلالات السمعيّة على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصّنائع والعمالات الشرعيّة، لأبي الحسن الخزاعي (المتوفّى: ٧٨٩هـ)، ص٦٨٧، ٦٨٨، بتصرّف، طبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت.

(٢) المرجع السّابق، ص٧٠٩، بتصرّف.

(٣) تخريج الدّلالات السمعيّة، ص٧٢٣، بتصرّف.

(٤) سورة النّحل، من الآية رقم: ٨٠ .

(٥) التّفسير الوسيط، ٢٠٨/٢ .

(٦) سورة المؤمنون، من الآية رقم: ٢٧ .

وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[١]، أي: وخلق الله الحديد وأوجده وهيّئه للنّاس؛ للانتفاع بقوته الشّديدة في تصنيع آلات الحروب لدحر الأعداء، ولينتفع النّاس به أيضًا في مصالحهم ومعايشهم كبناء القصور، وتصنيع الآلات الزراعية، وغير ذلك، والله أعلم.

وذكر الزّراعة في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[٢]وهذا ما حثّنا عليه رسول الله ﷺ في غير حديث فقال: "لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ"[٣]فقد حثّنا ﷺ على العمل بغضّ النّظر عن نوعه ما دام وسيلة للكفاف، وإغناءً عن الطّلب من النّاس.

فالحاصل إذن: أنّ القرآن الكريم ذكر بعض الأعمال والصّناعات المفيدة للبشريّة ورقيّها دون أن يفضّل بعضها على بعض، أو يقصرها على فئة محدّدة من النّاس؛ ممّا يدلّ على أنّ العمل مطلوب بغضّ النّظر عن نوعه.

المطلب الخامس- حقوق العمال:

وإذا كان القرآن الكريم قد دعانا إلى العمل وبيّن أهميّته لتقدّم المجتمعات وبناء الحضارات والتطوّر في شتّى المجالات؛ فقد بيّن أيضًا حقوق العامل قبل أن تُولِي عصبة الأمم في عصرنا الحاضر بهم اهتمامًا؛ فتجعل لهم حقوقًا وواجبات ويومًا للاحتفال..؛ فدعت شريعتنا الغراء إلى الحفاظ على صحّة العامل ومنحه الرّعاية اللازمة بما في ذلك حفظ دينه، ونفسه، وعقله، وعرضه،

---

(١) سورة الحديد، من الآية رقم: ٢٥ .

(٢) سورة الواقعة، آية رقم: ٦٤، ٦٥ .

(٣) أخرجه الإمام البخاريّ في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، ٥٧/٣، ورقمه: ٢٠٧٤ .

وماله كفرد مسلم من أفراد المجتمع؛ وهي أمور من أجلها كانت الأحكام الشّرعيّة الخمس – وهي: الفرض، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح –، وبسبب حفظها حُدَّت الحدود حفاظًا على المجتمع من اعتداء المعتدين وإثم الآثمين، يقول ربّنا الكريم في محكم التّنزيل: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

وأكّد القرآن على إتاحة سبل الرّاحة للنّاس وعدم تكليفهم بما لا يَتحمّلون؛ فكلّ إنسان له طاقة محدّدة ينبغي عدم تجاوزها، والعامل لا شكّ واحد من النّاس وممّن يُتَوجَّه له خطاب القرآن في غير آية؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2]؛ فقد قرن القرآن بين الإيمان وعمل الصّالحات وعدم تكليف النّفس بما لا تطيق إرشادًا للنّاس بأن يأخذوا بيد العمّال وألا يُكلِّفوهم بما لا يطيقون، وأن يعاملوهم معاملة حسنة؛ فالله نفسه لم يُكلِّفنا إلّا بما نطيق من الأعمال، وأنّ جزاء ذلك جنّة دائمة يُخلَّد فيها هؤلاء فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأمرنا رسول الله ﷺ بأن نعطي العامل حقّه دون مماطلة أو تسويف فور انتهاء العمل، وبيّن أنّه خصيم من استوفى منه العمل ولم يعطه حقّه كاملًا وعاجلًا؛ فقال ﷺ: "ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ،

---

(١) سورة المائدة، من الآية رقم: ٣٢ .

(٢) سورة الأعراف، من الآية رقم: ٤٢ .

وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ"(١).

إنّ الأجير مستأجر عند صاحب العمل وهو عقد من عقود المعاملات في الشّريعة الغرّاء، وقد أمرنا ربّنا بالوفاء بها في غير آية في القرآن الكريم؛ والتي منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾(٢)ومعنى الآية: يا أيّها الذين أقرّوا بوحدانيّة الله، وأذعنوا له بالعبوديّة، وسلّموا له بالألوهيّة، وصدّقوا رسوله محمّدًا ﷺ في نبوّته وفيما جاءهم به من عند ربّهم من شرائع دينه، أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربّكم، والعقود التي عاقدتموها إيّاه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقًا، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضًا، فأتمّوها بالوفاء والكمال والتّمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم، بما أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تنكثوها فتنقضوها بعد توكيدها"(٣).

وكما أقرّ القرآن للعامل حقوقًا جعل عليه واجبات تجاه صاحب العمل من الإتقان في العمل والأمانة التامّة فيما يؤدّيه من عمل؛ فهو مسؤول عنه أمام الله تعالى وعمّا ينشئ من الأخطاء بسبب تقصيره أو خيانته؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾(٤).

---

(١) أخرجه الإمام البخاريّ في صحيحه من حديث أبي هريرة ﷺ، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير، ٣/٩٠، ورقمه: ٢٢٧٠ .

(٢) سورة المائدة، من الآية رقم: ١ .

(٣) جامع البيان، ٩/٤٤٧ .

(٤) سورة الأنفال، آية رقم: ٢٧ .

المطلب السّادس- العمل وسيلة للتّطوّر الإنساني في شتّى المجالات:

لا شكّ أنّ العمل هو وسيلة لكفاف الإنسان وتطوّره في ذاته ومجتمعه وسبيل لتحقيق أهدافه، فالحياة بلا عمل موات وتخلّف، والإنسان أعطاه الله من القوى والطّاقات ما يجعله قادرًا على قيادة سفينة الحياة بالعمل الجاد المنتج الذي يعود على الفرد والمجتمع بالخير العميم والتقدّم والازدهار في شتّى المجالات.

ومن هنا كان اهتمام رسول الله ﷺ بالعمل والاستمراريّة فيه اهتمامًا بالغًا؛ فقد وصّانا به ما دام في الإنسان نفس يتنفّسه وحتى لو قامت القيامة ونحن نعمل فلا بدّ وأن نستكمل العمل؛ فيقول ﷺ: "إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ – نخلة صغيرة – فَإِنْ استَطاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَلْيَغرِسْهَا"[(١)]؛ فالاستمراريّة في العمل مؤشّر على النّجاح والعمران، والانقطاع عنه يؤدّي بالتّأكيد إلى الخسران والخزلان.

إنّ علينا أن نُوَاكِب التطوّر المذهل في أنحاء دول العالم المتقدّم وبخاصّة النّمور الاقتصاديّة بأن نعود إلى ما كان عليه رسولنا الكريم ﷺ وسلفنا الصّالح – رضوان الله عليهم أجمعين – من عمران الأرض وكسب الرزق بالعمل الجاد المستزاد والذي لا ينقطع بحال؛ فانتقلوا به من رعاة غنم إلى قادة أمم ومنشئي حضارة علّمت الإنسانيّة جمعاء.

---

(١) أخرجه الإمام البخاريّ في الأدب المفرد من حديث أنس بن مالك ﷺ، باب اصطناع المال، ص٢٤٢، ورقمه: ٤٧٩، وقال محقّقه: صحيح، والإمام أحمد في مسنده، في مسند المكثرين من الصّحابة ﷺ، مسند أنس بن مالك ﷺ، ٢٥١/٢٠، ورقمه: ١٢٩٠٢، وقال محقّقه: إسناده صحيح. (الأدب المفرد بالتّعليقات للإمام البخاري (المتوفّى: ٢٥٦هـ)، طبعة: مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفّى: ٢٤١هـ)، طبعة: مؤسسة الرّسالة).

وبهذا قارئي الكريم يستبين لنا: أنّ القرآن الكريم ينظر إلى التّنمية نظرةً متوازنة وشاملة ومتكاملة، تقوم على تربية الإنسان علي قيم الحقّ والعدل والفضيلة والعمل الجادّ والمتقن والمستمرّ والمستزاد، لا سيّما وأنّه اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإن صلحت صلح المجتمع، وإن فسدت فسد المجتمع، ثمّ بعد ذلك يدعوا المجتمع ومن يسوسون أمره إلى الأخذ بجميع أسباب النّماء والارتقاء الماديّ والمعنويّ في شتّى المجالات؛ لينعم النّاس في هاتين الحياتين، ويسعدوا في الدّارين، والله أعلم.

خاتمة:

تمّ البحث بفضل الله وكرمه ومنّه، وهذه أهمّ النّتائج والتوصيّات التي توصّلت إليها من خلال البحث:

❖ **النّتائج:**

١- التّنمية هي تنمية النَّاس بالنَّاس من أجل النَّاس.

٢- لم يعرف العالم مصطلح التّنمية الشّاملة إلّا حديثًا، أما كتاب الإسلام فقد أشار إلى ذلك من خلال الآيات القرآنيّة منذ قرون.

٣- تحدّي القرآن لقِمَم العلم، ولأقصى درجات الحضارة تطوّرًا ورُقِيًّا؛ فهو كتاب معجز خالد لا تفنى عجائبه ولا تنقضي فرائده على مرّ العصور والدّهور.

٤- تنوّع مجالات التّنمية في القرآن؛ فقد شملت كلّ التخصّصات وشتّى المجالات.

٥- بيّن القرآن الكريم السّبيل لتحقيق التّنمية الشّاملة.

٦- نظرة سلفنا الصّالح في فهمهم لمقاصد الله تعالى في التّنمية وأنواعها والسّبيل لتحقيقها كانت نظرة شاملة وواعية.

٧- القرآن الكريم يعدُّ علاجًا للمشاكل العصريّة المُزمنة.

٨- اتباع هدي القرآن الكريم فيه التّقدّم والرّقيّ، والسّعادة في الدّارين.

❖ **أهم التّوصيّات:**

١- يحتاج موضوع التّنمية إلى مزيد من العناية والدراسة وربطها بالقرآن الكريم حتى تتبلور مضامين إسلاميّة أصيلة تُؤَسَّس على بصيرة منها استراتيجيتنا التّنموية والسّياسات التي تقتضيها.

٢- يمكن عمل دراسات عليا (ماجستير، ودكتوراه) في هذا الباب.

٣- إبراز مثل هذه الموضوعات للمسلمين تزيدهم ثباتًا في إيمانهم، ورسوخًا في دينهم.

٤- بمثل هذه الموضوعات يُرَدّ على الهجمات الشّرسة على الإسلام والمسلمين.

٥- بمثل هذه الموضوعات يُدعَى الغرب إلى الإسلام.

٦- توجيه الدّعاة لإبراز التّنمية الشّاملة للنّاس في مواعظهم وخطبهم.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- القرآن الكريم.

١- الأمّ للإمام الشّافعي (المتوفّى: ٢٠٤هـ)، النّاشر: دار المعرفة – بيروت، سنة النّشر: ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢- الأدب المفرد بالتّعليقات للإمام البخاريّ (المتوفّى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: سمير بن أمين الزّهيري، طبعة: مكتبة المعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض، الطّبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣- الأحكام السّلطانية للفراء (المتوفّى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: لبنان حمد حامد الفقي، طبعة: دار الكتب العلميّة - بيروت، الطّبعة: الثّانية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (المتوفّى: ٥٠٥هـ)، طبعة: دار المعرفة – بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

٥- أيسر التّفاسير لكلام العلي الكبير، للشّيخ أبي بكر الجزائري، طبعة: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوّرة، المملكة العربية السّعوديّة، الطّبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦- البيئة والتّربية البيئية د/ سعاد جعفر، ود/ فيحاء نايف المومني، طبعة: مكتبة الرّشد.

٧- تفسير الكشّاف للزّمخشري (المتوفّى: ٥٣٨هـ)، طبعة: دار الكتاب العربي – بيروت، الطّبعة: الثّالثة - ١٤٠٧هـ.

٨- تفسير القرآن العظيم للعلّامة ابن كثير (المتوفّى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، طبعة: دار طيبة للنّشر والتّوزيع، الطّبعة: الثّانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٩- تخريج الدّلالات السّمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصّنائع والعمالات الشّرعية، لأبي الحسن الخزاعي (المتوفّى: ٧٨٩هـ)، تحقيق د: إحسان عبّاس، طبعة: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثّانية، ١٤١٩هـ.

١٠-تهذيب التّهذيب، للعلّامة بن حجر العسقلاني (المتوفّى: ٨٥٢هـ)، طبعة: مطبعة دائرة المعارف النّظامية، الهند، الطّبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

١١- تفسير الجلالين للعلّامتين: جلال الدّين المحلّي (المتوفّى:٨٦٤هـ)، وجلال الدّين السّيوطي (المتوفّى: ٩١١هـ)، طبعة: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، بدون تاريخ.

١٢- تفسير أبي السّعود (المتوفّى: ٩٨٢هـ)، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت، بدون رقم الطبعة وتاريخها.

١٣- تحفة الحبيب على شرح الخطيب للعلامة البُجَيْرَمِيّ المصري الشّافعي (المتوفّى: ١٢٢١هـ)، النّاشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، للعلّامة: الألوسي (المتوفّى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيّة، طبعة: دار الكتب العلميّة – بيروت، الطّبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

١٥- تفسير المراغي، (المتوفّى:١٣٧١هـ)، طبعة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطّبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م.

١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، للعلامة: السّعدي (المتوفّى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، طبعة: مؤسسة الرّسالة ، الطّبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٧- تفسير حدائق الرّوح والرّيحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلّامة/ محمّد الأمين الشّافعي، تحقيق الدّكتور: هاشم محمّد علي بن حسين مهدي، طبعة: دار طوق النّجاة، بيروت – لبنان، الطّبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٨- التّراتيب الإداريّة والعمالات والصّناعات والمتاجر والحالة العلميّة التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلاميّة في المدينة المنوّرة العلميّة، للعلامة/ محمّد عَبْد الحَيّ الكتّاني (المتوفّى: ١٣٨٢هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، طبعة: دار الأرقم – بيروت، الطّبعة: الثّانية، بدون تاريخ.

١٩- تفسير الشّيخ الشّعراوي (المتوفّى: ١٤١٨هـ)، طبعة: مطابع أخبار اليوم، بدون رقم الطّبعة والتّاريخ.

٢٠- التفسير الوسيط للعلّامة: طنطاوي، (المتوفّى: ١٤٣١ هـ) ، طبعة: دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفجّالة – القاهرة، الطّبعة: الأولى، أجزاء ١ – ٣: يناير ١٩٩٧م، وجزء ٤: يوليو ١٩٩٧م، وجزء ٥: يونيو ١٩٩٧م، وأجزاء ٦ – ٧: يناير ١٩٩٨م، وأجزاء ٨ – ١٤: فبراير ١٩٩٨م، وجزء ١٥: مارس ١٩٩٨م.

٢١- التفسير الميسّر لنخبة من أساتذة التّفسير، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف – السّعودية، الطّبعة: الثّانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٢- التّنمية من مفهوم تنمية الاقتصاد إلى مفهوم تنمية البشر، للمؤلّفَيْن: رحالي حجيلة، وبوخالفة رفيقة، ٢٠١٦م.

٢٣- التّنمية البشريّة: مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، التّنمية البشريّة في الوطن العربي، للمؤلّف: جورج القصيفي، مركز دراسات الوحدة العربيّة ١٩٩٥م.

٢٤- التّنمية البشريّة المستدامة وبناء مجتمع المعرفة، للدكتور: حسين أحمد دخيل السّرحان، النّاشر: كلية القانون، مجلة أهل البيت – عليهم السّلام – العدد ١٦ .

٢٥- جامع البيان للعلّامة أبي جعفر الطّبري (المتوفّى: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، طبعة: مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن للعلّامة القرطبي (المتوفّى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبعة: دار الكتب المصريّة – القاهرة، الطّبعة: الثّانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٢٧- خرافات التّنمية البشريّة، د/ عمّار عبد الغني، ط: ١، القاهرة، النّاشر: مجموعة النيل العربيّة، ٢٠١٧م.

٢٨- سنن ابن ماجه (المتوفّى: ٢٧٣هـ)، تحقيق الشّيخ: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، طبعة: دار الرّسالة العالميّة، الطّبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للإمام ابن سعيد اليمني (المتوفّى: ٥٧٣هـ)، تحقيق د: حسين بن عبد الله العمري – ومطهر بن علي الإرياني – ويوسف محمّد عبد الله، طبعة: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، ودار الفكر (دمشق – سوريّة)، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣٠- الشّبكة العنكبوتيّة، بوابة المصطلحات الخاصة بمنظّمة الأغذية والزراعة للأمم المتّحدة، من خلال الرّابط التّالي:

https://www.unescwa.org/ar/sd glossary/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9 %85%D9%8A%D8%A9 %D8%A7%D9%84%D8%2 %D8%B1%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9%

D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8
%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9

٣١- الشّبكة العنكبوتيّة، من خلال الرّابط التّالي:

https://hbrarabic.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%
D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85%D8%
A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1
%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%AA%
D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9
%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%8
/A%D8%A9

٣٢- الشّبكة العنكبوتيّة، ويكيبديا الموسوعة الحرّة، من خلال الرّابط التّالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%86%D9
%85%D9%8A%D8%A9

٣٣- صحيح البخاري المتوفّى: (٢٥٦هـ)، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر، طبعة: دار طوق النّجاة "مصوّرة عن السّلطانية بإضافة ترقيم: محمّد فؤاد عبد الباقي). النّاصر، الطّبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٤- صحيح مسلم (المتوفّى:٢٦١هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت، بدون رقم الطّبعة وتاريخها.

٣٥- الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة) للعلّامة: أبي نصر الفارابي (المتوفّى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، طبعة: دار العلم للملايين – بيروت، الطّبعة: الرّابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٦- صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب للشّيخ: الألباني، طبعة: مكتَبة المَعارف للنّشر والتّوزيع، الرّياض - المملكة العربيّة السّعوديّة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٧- صندوق التنمية الصّناعية السّعودي وسبل تطويره: تقييم مالي شرعي، الشراري، عطا الله بن حمود عليان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كليّة الشّريعة ٢٠١٨م.

٣٨- غريب الحديث لأبي الفرج الجوزي (المتوفّى: ٥٩٧هـ)، تحقيق الدّكتور: عبد المعطي أمين القلعجي، طبعة: دار الكتب العلميّة - بيروت - لبنان، الطّبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٣٩- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطّيب القِنَّوجي (المتوفّى: ١٣٠٧هـ)، طبعة: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٠- قاعدة بيانات الأمم المتحدة للمصطلحات UNTERM - منظّمة الأسكوا التابعة للأمم المتّحدة من خلال الرابط التالي:

https://www.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%AA%D8%B7%D9%88%D9%8A%D8%B1

٤١- كتاب الأموال للقاسم بن سلّام المتوفّى (٢٢٤هـ)، تحقيق: خليل محمّد هرّاس، طبعة: دار الهدي النّبوي - مصر، ودار الفضيلة - السّعوديّة، بدون رقم الطّبعة وتاريخها.

٤٢- كنز الدّرر وجامع الغرر، لأبي بكر بن عبد الله الدّواداري (المتوفَّى: ٧٣٦هـ)، تحقيق: إدوارد بدين، طبعة: عيسى البابي الحلبي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤٣- الكفّارات في الفقه الإسلامي للدكتور/ رجاء بن عابد المطرفي، طبعة: المدينة المنوّرة: مكتبة الملك فهد الوطنيّة.

٤٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفّى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - وعادل مرشد، وآخرون، طبعة: مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

٤٥- المعجم الأوسط للعلّامة الطّبراني (المتوفّى:٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمّد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، طبعة: دار الحرمين – القاهرة، بدون رقم الطّبعة وتاريخها.

٤٦- معجم مقاييس اللغة للإمام ابن فارس الرّازي، (المتوفّى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، طبعة: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٧- مفاتيح الغيب للرّازي (المتوفّى: ٦٠٦هـ)، طبعة: دار إحياء التّراث العربي – بيروت، الطّبعة: الثّالثة - ١٤٢٠هـ.

٤٨- المغني لابن قدامة (المتوفّى:٦٢٠هـ)، النّاشر: مكتبة القاهرة، بدون رقم الطّبعة وتاريخها.

٤٩- المواقف بشرح الجرجاني، طبعة: مطبعة السّعادة، مصر، بدون رقم الطّبعة وتاريخها.

٥٠- من أجل تنمية مستديمة، جميل حمداوي، الطّبعة: الأولى، ٢٠١٧م.

٥١- معجم مصطلحات الرّعاية والتّنمية الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، طبعة: دار الكتاب المصري - القاهرة، ودار الكتاب اللبناني – ببيروت، ٢٠١٩م.

المراجع الأجنبية:

1-kadivar, Mouhamed ali, "Social Development and Revolution in Iran ", Sociology of Development journal Vol. 8, No. 2, pp. 213–237. .

2-Mahmud, Sabah Faihan(2021), Opportunities and Challenges of Sustainable Agricultural Development in Iraq, "International Journal of Social Relevance &

Concern'', vol.9, No. 1,pp 13–14. .

3–Ogbeide–Osaretin, Evelyn Nwamaka, and Bright Orhewere. (2022). An Empirical Evidence of Energy Consumption and Economic Development Dynamics in Nigeria: What is the Role of Population?. Energy Economics Letters, Vol. 9, No. 1, 27–43. .

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

♣ alquran alkarim.

1- al'umu lil'iimam alshshafey (almutawafaa: 204h), alnnashr: dar almaerifat - bayrut, sanat alnnshr: 1410h-1990m. 2- al'adab almufrad balttelyqat lil'iimam albukharii (almtwffa: 256hi), tahqiqu: samir bin 'amin alzzhyry, tabeatu: maktabat almaearif llnnshr walttwzye, alrryad, alttbet: al'uwlaa, 1419h - 1998m.

3-al'ahkam alssltanyt lilfara' (almtwffa: 458hi), tahqiqu: lubnan hamd hamid alfaqi, tabeatun: dar alkutub alelmyt - bayrut, alttbet: alththanyt, 1421h - 2000m.

4-'iihya' eulum aldiyn li'abi hamid alghazalii (almtwffa: 505hi), tabeatun: dar almaerifat - bayrut, bidun raqm altabeat watarikhiha.

5- 'aysar alttfasyr likalam alealii alkabiri, llshshykh 'abi bakr aljazayiri, tabeatu: maktabat aleulum walhikmi, almadinat almunawarati, almamlakat alearabiat alssewdyt, alttbet: alkhamisati,1424hi-2003m

6- albiyat waltarbiat albiyiyat du/ suead jaefar, wada/ fayha' nayif almumani, tabeatu: maktabat alrrshd.

7- tafsir alkshshaf llzzmkhshry (almtwffa: 538hi), tabeatun: dar alkitaab alearabii - bayruta, alttbet: alththaltht - 1407hi.

8- tafsir alquran aleazim llellamt abn kathir (almtwffa: 774hi), tahqiqu: sami bin mhmmd salamata, tabeatun: dar tiibat llnnshr walttwzye, alttbet: alththanyt 1420hi - 1999m.

9- takhrij alddlalat alssmeyt ealaa ma kan fi eahd rasul allah min alhiraf walssnaye waleumaalat alshshreyt, li'abi alhasan alkhizaei (almtwffa: 789h), tahqiq du: 'iihsan ebbas, tabeata: dar algharb al'iislamii - bayrut, altabeatu:

althaaniatu, 1419h. 10-tahadhib altahdhib, llellamt bin hajar aleasqalanii (almtwffa: 852hi), tabeatun: matbaeat dayirat almaearif alnnzamyt, alhinda, alttbet al'uwlaa, 1326hi.
11-tafsir aljalalayn llellamtyn: jalal alddyn almhlly (almutawafaa:864ha), wajalal alddyn alssywty (almtwffa: 911hi), tabeata: dar alhadith - alqahiratu, altabeatu: al'uwlaa, bidun tarikhi.
12- tafsir 'abi alssewd (almtwffa: 982hi), tabeatun: dar 'iihya' alttrath alearabii - bayrut, bidun raqm altabeat watarikhiha. 13- tuhfat alhabib ealaa sharh alkhatib lilealamat albujayrami almisrii alshshafey (almtwffa: 1221ha), alnnashr: dar alfikri, 1415h - 1995m.
14- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walssbe almathani, llellamt: al'alusii (almtwffa: 1270hi), tahqiqu: eali eabd albari etyt, tabeata: dar alkutub alelmyt - bayrut, alttbet: al'uwlaa, 1415hi.
15-tafsir almaraghi, (almtwffa:1371h), tabeatu: sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabaa alhalabii wa'awladuh bimasri, altabeati: al'uwlaa, 1365h - 1946 mi.
16-taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani, lilealamati: alssedy (almtwffa: 1376hi), tahqiqu: eabd alrahman bin maeala alllwayahaqi, tabeatu: muasasat alrrsalt , altabeatu: al'uwlaa 1420h -2000m.
17-tafsir hadayiq alrrwh walrryhan fi rawabi eulum alquran lilshaykh alellamt/ mhmmd al'amin alshshafey, tahqiq alddktwr: hashim mhmmd eali bin husayn mahdi, tabeat: dar tuq alnnjat, bayrut - lubnan, alttbet: al'uwlaa, 1421 hi - 2001m.
18-alttratyb al'idaryt waleumaalat walssnaeat walmatajir walhalat alelmyt alati kanat ealaa eahd tasis almadaniat al'islamyt fi almadinat almunawarat alelmyt, lilealaamati/ mhmmd eabd alhay alkttany (almtwffa: 1382hi), tahqiqu:

eabd allah alkhalidi, tabeata: dar al'arqam - bayrut, altabeata: alththanyt, bidun tarikhi.
19-tafsir alshshykh alshsherawy (almtwffa: 1418hi), tabeatun: matabie 'akhbar alyawma, bidun raqm alttbet walttarykh.
20-altafsir alwasit llellamt: tantawi, (almtwffa: 1431 ha) , tabeatu: dar nahdat misr llttbaet walnnshr walttwzye, alfjjalt - alqahirati, alttbet: al'uwlaa ،'ajza' 1 - 3: yanayir 1997ma, wajuz' 4: yuliu 1997m, wajuz' 5: yunyu 1997ma, wa'ajza' 6 - 7: yanayir 1998ma, wa'ajza' 8 - 14: fibrayir 1998ma, wajuz' 15: maris 1998m.
21-altafsir almyssr linukhbat min 'asatidhat alttfsyr, tabeatu: majmae almalik fahd litibaeat almushaf alshshryf - alssewdyt, alttbet: alththanyt, mazidat wamunaqahatun, 1430h - 2009m.
22- alttnmyt min mafhum tanmiat alaiqtisad 'iilaa mafhum tanmiat albashar, llmwllfayn: rahali hijilt, wabukhalifat rafiqat, 2016m.
23- alttnmyt albshryt: murajaeat naqdiat lilmafhum walmadmuni, alttnmyt albshryt fi alwatan alearabii, llmwllf: jurj alqasifi, markaz dirasat alwahdat alerbyt 1995m. 24- alttnmyt albshryt almustadamat wabina' mujtamae almaerifati, lilduktur: husayn 'ahmad dukhil alssrhan, alnnashr: kuliyat alqanuni, majalat 'ahl albayt - ealayhim alsslam - aleadad 16 .
24-jamie albayan llellamt 'abi jaefar alttbry (almtwffa: 310hi), tahqiqu: 'ahmad mhmmd shakir, tabeatun: mwssst alrrsalt, alttbet: al'uwlaa, 1420h - 2000 ma.
25-aljamie li'ahkam alquran llellamt alqurtubii (almtwffa: 671hi), tahqiqu: 'ahmad albarduni, wa'iibrahim 'atfish, tabeata: dar alkutub almisriat - alqahiratu, alttbet: alththanyt, 1384h -1964m.

26- khurafat alttnmyt albshryt, du/ emmar eabd alghani, s 146, tu: 1, alqahirati, alnnashr: majmueat alniyl alerbyt, 2017m.

27-sunan abn majah (almtwffa: 273hi), tahqiq alshshykh: shueayb al'arnuuwt, wakhrun, tabeata: dar alrrsalt alealmyt, alttbet: al'uwlaa, 1430h - 2009m.

28-shams aleulum wadawa' kalam alearab min alklumi, lil'iimam abn saeid alyamanii (almtwffa: 573hi), tahqiq da: husayn bin eabd allah aleumrii - wamutahir bin ealii al'iiryanii - wayusif mhmmd eabd allah, tabeata: dar alfikr almueasir (bayrut - lubnanu), wadar alfikr (dimashq - swry), alttbet: al'uwlaa, 1420h - 1999m.

29-alshshbkt alenkbwtyt, bawaabat almustalahat alkhasat bmnzzmt al'aghdhiat walziraeat lil'umam almtthdt, min khilal alrrabtalttaly: https://www.unescwa.org/ar/sdglossary/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9 %D8%A7%D9%84%D8%2%D8%B1%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9

30-alshshbkt alenkbwtyt, min khilal alrrabt alttaly: https://hbrarabic.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%81%D8%A7%D9%87%D9%8A%D9%85%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%A9/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A9/

31- alshshbkt alenkbwtyt, wikibdia almawsueat alhrrt, min khilal alrrabt alttaly: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9

32-sahih albukharii almtwffa: (256hu), tahqiqu: mhmmd zuhayr bin nasir, tabeat: dar tawq alnajaa "mswwrt ean

alssltanyt bi'iidafat tarqimi: mhmmd fuad eabd albaqi). alnnasr, alttbet: al'uwlaa, 1422hi.
33-sahih muslim (almtwffa:261h), tahqiqu: mhmmd fuaad eabd albaqi, tabeata: dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, bidun raqm alttbet watarikhiha.
34-alsshah taj allughat wasihah alerby) llellamt: 'abi nasr alfarabi (almtwffa: 393hu), tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur ettar, tabeata: dar aleilm lilmalayin - bayruta, alttbet: alrrabet 1407hi - 1987m.
35-sahih alttarghib walttarhib llshshykh: al'albani, tabeatu: mktabt almaearf llnnshr walttwzye, alrryad - almamlakat alerbyt alssewdyt, alttbet: al'uwlaa, 1421h - 2000m.
36- sunduq altanmiat alssnaeyt alssewdy wasubul tatwirihi: taqyim maliin sharei, alsharari, eata allah bin hamuwd ealyan, risalat majistir ghayr manshuratin, jamieat alyrmwk, klyt alshshryet 2018m.
37-gharayb alhadith li'abi alfaraj aljawzii (almtwffa: 597hi), tahqiq alduktur: eabd almueti 'amin alqaleaji, tabeata: dar alkutub alelmyt - bayrut - lubnan, alttbet: al'uwlaa, 1405hi- 1985m.
38-fth albayan fi maqasid alqurani, li'abi altayib alqinnawjy (almtwffa: 1307hi), tabeata: almaktbt alesryat lltbaet walnnshr, sayda - bayrwt, 1412h - 1992m.
39-kitab al'amwal lilqasim bin sllam almtwffa (224hi), tahqiqu: khalil muhamad hrras, tabeatun: dar alhady alnabawii - masr, wadar alfadilat - alssewdyt, bidun raqm alttbet watarikhiha.
40-kinz aldarar wajamie algharara, li'abi bakr bin eabd allh alddwadary (almtwffa: 736hi), tahqiqu: 'iidward bidin, tabeati: eisaa albabi alhalbi, 1414h - 1994m.
41-qaeidat bayanat al'umam almutahidat lilmustalahat - UNTERM mnzzmt al'uskuu altaabieat lil'umam almtthdt min khilal alraabit altaali:https://www.unescwa.org/ar/sd-

glossary/%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9%D8%AA%D8%B7%D9%88%D9%8A%D8%B1
42-alkffarat fi alfiqh al'iislamii lilduktur/ raja' bin eabid almatrafi, tabeatu: almadinat almunawarati: maktabat almalik fahd alwataniati.
43-musnad al'iimam 'ahmad bin hanbal (almtwffa: 241hi), tahqiqu: shueayb al'arnawuwt - waeadil murshidi, wakhrun, tabeata: mwssst alrrsalt, alttbet: al'uwlaa, 1421 hi - 2001m. 44-almuejam al'awsat lilealamat alttbrany (almtwffa:360h), tahqiqu: tariq bin eawad allah bin mhmmd, waeabd almuhsin bin 'iibrahim alhusayni, tabeatun: dar alharamayn - alqahirati, bidun raqm alttbet watarikhiha.
45-muejam maqayis allughat lil'iimam abn faris alrrazy, (almtwffa: 395hi), tahqiqu: eabd alsslam mhmmd harun, tabeata: dar alfikri, 1399h - 1979m.
46-mafatih alghayb lilraazii (almtwffa: 606hi), tabeatun: dar 'iihya' alttrath alearabii - bayrut, alttbet: alththaltht - 1420hi. 47-almughaniy liabn qudama (almtwffa:620h), alnnashr: maktabat alqahirati, bidun raqm alttbet watarikhiha.
48-almawaqif bisharh aljirjani, ta: matbaeat alsseadt, masira, bidun raqm alttbet watarikhiha.
49-min 'ajl tanmiat mustadimati, jamil hamdawi, alttbet: al'uwlaa, 2017m.
50-muejam mustalahat alrreayt walttnmyt alaijtimaeiati, 'ahmad zaki bidwi, tabeata: dar alkitab almisrii - alqahirati, wadar alkitab allubnanii-bibayrut, 2019m.